AL-MAWSILI

DIRASAT ANDALUSIYAH

Princeton University Library
32101 073825000

2258
.624

2258.624
al-Mawsili
Dirasat Andalusiyah

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

دراسات اندلسية

سامي
أحمد
الموصلي

al-Mawṣilī, Sāmī Aḥmad

Dirāsāt Andalusīyah

دراسات أندلسية

سامي أحمد الموصلي

ساعدت وزارة الإعلام على نشره

الطبعة الاولى

- ١٩٧٠ -

طبع بمطبعة الزمان - بغداد

2258
.624

المقدمة

التراث قضية قومية

... حينما نفكر بالماضي ، ونكتب عنه ، فاننا نحس امتدادنا فيه بتاريخنا الحضاري والانساني ، ان الماضي جزء منا ويعبر عن التشكل والصورة الحقيقية لذواتنا عبر التغيرات التاريخية العديدة ، فأنا لست وليد الحاضر فقط وانما هناك تراكمات تاريخية تشارك في تشكيل صورتي الانسانية الحاضرة هذه التركمات التاريخية هي الماضي ، والتراث هو الماضي معبر عنه بلغة العصر ـ فنحن نقرأ الماضي في التراث الحاضر الذي نكتبه وكتبه من قبلنا .

... واذا صح هذا الاستنتاج فأن الانسان العربي ليس متميزا الآن بحضوره فقط وانما بماضيه المشارك في خلقه ، واذا كان لعروبة العربي تراثياً اساس في التقييم فانه يخرج على سطح الحاضر بصورة القومية العربية .

... ان التراث اذا اصبح قضية قومية ، ان ندرس التراث معناه ان ندرس قوميتنا . القومية تراكم تراثي متفاعل مع الحاضر ولهذا كانت القومية بعد ثوري للانسان . فالتراث عبر كينونته قومية يشكل البعد الثوري للانسان ومن هنا كانت قوميتنا العربية ثورية وذلك لان تراثنا المعبرة عنه كان ثوريا .

... وان نبقى نكتب عما نعرف وعما هو مشهور في تاريخنا ذلك أمر اصبح مملاً اضافة الى كونه غير ذي أثر في الكتابة واذا شئنا ان نكتب حقا وحقيقة فعلينا ان نكتب عما لم يتعرض له الكتاب من جوانب تراثنا وحضارتنا القديمة لنكشف الابعاد الصامتة والخفية لحضارتنا .

... ومن هذه الملاحظة انطلقت للكتابة عن الزجل الاندلسي ،

8-24-71 1945

فحيثما تذهب وحتى في الجامعات ترى الجهل الفظيع في هذا الجانب الكبير من تراثنا وكل ما يقال عنه هو استشهاد ساذج وكثيرا ما يكون مغلوطا عن الزجل ، في حين ان الزجل يعادل التوشيح في اهميته التاريخية والادبية ، ولا ادري لماذا يهتم الكتاب بالموشحات اكثر من الزجل ، لعل ذلك عائد الى اسباب منها عدم استطاعتهم فهم الزجل حيث انه كتب بلهجة ذلك العصر لا بلغة فصحى يفهمها الجميع وسبب آخر هو عدم توفر اي دراسة جدية عنه سوى ملاحظات بسيطة وقصيرة كثيرا ما ينساها حتى كتاب تاريخ الادب الاندلسي المختصون .

ان الزجل فن كفن التوشيح قائم بذاته ويكشف أثره في الشعر الاوربي عن اهميته التاريخية ولذا فقد حاولت في هذا الكتاب ان اتعرض للزجل في كليته وجزئيته من زجل زجلا الى آخر من قال الزجل متعرضا لفنونه واساليبه واختلاف النظريات في نشأته واسباب وجوده وأشهر زجالية وما الى ذلك مناقشا جميع الآراء التي وردت الينا فى الكتب العربية والاجنبية .

أما الزاوية الثانية في هذا الكتاب والتي نكشف فيها عن وجه جديد وخفي من التراث الادبي والتاريخي فهو الدولة الافطسية وحالة الادب البطليوسي فيها ، وقد يتذكر الانسان كل آداب العالم وتاريخها ولكنه لا يفكر بوجود دولة باسم الدولة الافطسية وادب ينسب الى بطليوس .

ان تاريخنا نصفه مجهول ونصفه ضائع ولم نعلم ولم ندرس الا ما اشتهر منه ناسين نصف تاريخنا بين الاوراق . وفي القسم الثالث من الكتاب كتبت عن شخصيات لم يتعرض لها الا قليلا في القديم والحديث هي شخصيات أبو اسحاق الالبيري وابن الحداد وابن اللبانة .

وفي النهاية فان مشاركتي في الكتابة عن التراث قد تكون قليلة ولكن مع هذا فاني اعتبرها مشاركة دقيقة بقدر ما هي قليلة وتترك للقراء التقييم .

سامي احمد الموصلي

الزجل الأندلسي

الزجل لغة واصطلاحاً

جاء في لسان العرب الزَّجَل[1] بالتحريك اللعب والجَلَبَة ورفع الصوت وخُصَّ به التَّطريب وأنشد سيبويه :

له زجلٌ كأنّه صوت حادٍ
اذا طلبَ الوسيقةَ أو زمير

وقد زجل فهو زجِلٌ وزجّال وربّما أوقع الزاجل على الغناء قال الشاعر :

وهو يغنّيها غناءً زاجلاً

والزجل فى الاصطلاح[2] شعر يصاغ في فقراتٍ تسمّى أبياتاً وتبدأ مقطوعته ببيت يعرَفُ بالمركز أو السمط تليه أغصان ذات قافية واحدة ووزنٍ واحد ، ويتكون الغصن من ثلاثة مصاريع او أكثر ثم يعقبها بيت في نفس وزن المركز وقافيته .

وقيل[3] في سبب تسميته زَجَلاً أنه لا يلتذّ به ولا تفهم مقاطيع أوزانه ولزوم قوافيه حتى يغنى به ويصوت . ويقطّعون[4] الزجل جملة أدوار مجموعها في غرضٍ واحدٍ يسمى حملاً تشبيهاً بحمل الدابة إذ كانت شطوره الرّباعية غالباً منقسمة الى قسمين كل قسم منها يكون كأحد جزأي حمل الدابة ، واتفق[5] الدارسون على أن الاندلسيين مبتكروه وكان أهل بغداد يسمونه الحجازي وقد

---

(١) لسان العرب ابن منظور جـ ١٣ ص ٣٢٠ بولاق –
(٢) تاريخ الفكر الاندلسى جنثيالث ص ١٤٣ القاهرة ١٩٥٥ ترجمة حسين مؤنر
(٣) خلاصة الاثر المحبي محمد أمين جـ ١ ص ١٠٨ بيروت –
(٤) الادب الاندلسى أحمد بلافريج وجماعته ج١ ص١٢٧–١٩٤١
(٥) الموسوعة الرعبية الميسرة اشراف غربال ص ٩٢٠ القاهرة ١٩٦٥

قسمه المؤرخون الى أنواع كل مؤرّخ يعدّها كما يشاء فهو عند أحدهم (خمسة أقسام : ما تضمّن الهزل والخلاعة ويقال له (بلّيق) وما تضمّن الهجو والنكت ويقال له (حُماق) وما بعض الفاظه معربة وبعضها ملحونة فاسمه (مُزيلج) وما تضمن الحكم والمواعظ فاسمه (المكفّر) (بكسر الفاء المشدّدة)[٦] . ونلاحظ هنا أن الكاتب قال خمسة انواع ولم يعدّ إلا أربعة فهل نسي الخامس ؟

واقدم من قسّمه وهو صفي الدين الحلي يعدّه هكذا [٧] :

١ ــ الزجل : وهو ما تضمّن الغزل والنسيب والخمري والزهري .

٢ ــ بُلّيق : وهو ما تضمّن الهزل والخلاعة .

٣ ــ قرمي : وهو ما تضمّن الهجاء والثلب .

٤ ــ مكفّر : وهو ما تضمّن المواعظ والحكمة .

ويقول انه قد أطلق على ما يعرب بعض ألفاظه بالمزتّم لأنه ملحق بالموشّح والزّنير الملحق بقوم ليس منهم وسنتعرض له بعدئذ بالتفصيل ، والموشح[٨] والزجل متفق مع الشعر في ثلاثة أشياء وهي النغم والوزن والتشبيه نفسه .

وقد[٩] انتشرت أشعار الموشحات والأزجال الاندلسية في أوربا نفسها وليس أدلّ على ذلك من وجود صلة وثيقة في تركيب الموشحات والازجال وقصائد بروڤانس ولنجدوك المنسوبة للشعراء وهناك رأي غريب للأهواني يقول ان لفظ هزل يساوي لفظ زجل في المعنى ويقول ان ابن قزمان استعملها بمعنى واحد ويسترد استناداته ومنها أن لفظ هزل ورد عند لسان الدين بن الخطيب في قوله مترجماً لأحدى

(٦) بلاغة العرب في الاندلس أحمد ضيف ص ٢٤٣ مصر ١٩٢٤

(٧) العاطل الحالي والمرخص الغالي صفي الدين الحلي ص ١٠ المانيا ١٩٥٥

(٨) العذاري المايسات في الازجال والموشحات فيليب قعدان ص و ــ ١٩٠٢

(٩) دائرة معارف الشعب جـ ٢ ص ٢٠٤ ط الشعب ١٩٥٩

شخصياته (انتحل لأول أمره الهزل من اصنافه فأبرز درّ معانيه من اصدافه وجنى ثمرة الأبـداع لحين قطافه ثم تجـاوزه الى المعرب وتخطّاه فأدار كأسه المترع وعاطاه فأصبح لفنّيه جامعاً وفي فلكيـه شهاباً لامعاً)[١٠] . واستند أيضاً إلى قول ابن قزمان :

زجلي المرفوعْ فِالعراق مسموعْ إن ذا مطبوعْ
بارت الأشعار عند ذا الهزل

وانما قلنا أن رأي الاهواني غريب لأنه بالامكان ان نعتبر نص ابن الخطيب خطأً وتصحيفاً بل غلطة إملائية لا أكثر . ونص ابن قزمان يدل على الهزل ولا مانع من جريان المعنى طبيعياً ، والتصوّر الطبيعي لهذا النص يسانده الأجماع في أن الزجل هو زجل وليس هزلاً ، بل لِمَ يسمى هزلاً وليس كلّه بالهزل ، كل هذا يدعونا الى عدم موافقة الأهواني في رأيه وأن نرفض هذا الرأي ونصفه بالغرابة .

(١٠) الزجل في الاندلس الاهواني ص ٦٠ ط عابدين ١٩٥٧

نشأة الزجل

يقول الأهواني بأن[1] أحداً من الأندلسيين لم يتعرّضوا للتحدث عن نشأة الزجل فابن سعيد (ت ٦٨٥) الذي نقل فيما يتّصل بالموشحات رأي الحجاري من أنها ظهرت في القرن الثالث على أيدي رجال سمّاهم لم يذكر عن نشأة الزجل إلا قوله أنها قيلت قبل أبي بكر بن قزمان . وابن خلدون لم يقل عن هذا الموضوع شيئاً سوى ان الزجل ظهر تقليداً للموشحة وصفي الدين الحلي يفسّر ظهور الزجل ولا يقول متى ظهر والأهواني يميل الى القول بوجود أصلٍ مشتركٍ للموشح والزجل وهو الأغنية الشعبية .

وسنعرض هنا آراء المؤرخين في نشأة الزجل وسبب ظهوره وزمان هذا الظهور ، فهناك من يقول أما (أول نشأته فالمعروف من ذلك انها كانت فى عهد الملتحين من ملوك الاندلس ولسنا نعلم على التحقيق اول من أشاع هذه الطريقة في النظم) [2] ويمضي الكاتب الى القول بأن الموشح أصل الزجل . ويذهب بطرس البستاني الى ان الموشح (مع جماله ورشاقته كان له أثر سيء في الادب اذ قاده الى الانحطاط)[3] ويفسّر قوله بأن الموشّح أصل الزجل كما ذهب ابن خلدون اذلك. وفي مهرجان ابن خلدون جاء هذا القول عن الزجل (قيلت بالاندلس قبل ابي بكر بن قزمان ولكن لم تظهر حلاها ولا انسكبت معانيها ولا اشتهرت رشاقتها إلا في زمانه وكان في زمان الملتحين)[4] .

وبعض المؤرخين يذكرون اشخاصاً بعينهم يقولون أنهم أوّل من

---

(١) الزجل في الاندلس ص ١

(٢) تاريخ الادب الشعبي حسين مظلوم وجماعته جـ ١ ص ٥١ ط مصر السعادة ١٩٣٦

(٣) ادباء العرب في الاندلس بطرس البستاني ص ٩١ بيروت ١٩٣٧

(٤) أعمال مهرجان ابن خلدون ص ٤٨٣ القاهرة ١٩٦٢

قال الزجل واخترعه وقد ورد اسم ابن غرلة ويخلف، ابن راشد وغيرهم حيث جاء (قيل أن مخترع الزجل ابن غرلة وأنه استخرجه من الموشح وقيل يخلف ابن راشد وكان هو إمام الزجالين قبل ابن قزمان وقيل مدغلّيس)[٥] ، أما ان مخترع الزجل هو ابن غرلة فذلك خطأ وذلك لأن (الحلّي) نفسه يذكر في كتابه انه من العصر الموحدي وانه كان عشيقاً لأخت الخليفة عبدالمؤمن فكيف يذكره الحلي كمخترع للزجل وقد سبقه ابن قزمان في العصر المرابطي ؟ ويبدو ان الحلي يقول ولا يناقش فيناقض نفسه كما يشاء ولا يحس . وكذلك لا يمكن ان يكون مخترع الزجل (مدغلّيس) لأنه في العصر الموحدي ايضاً . واما انه يخلف ابن راشد فهذا قد يكون اقرب الى الواقع وان لم يكن بالتأكيد إذ أنه ورد اسمه مختلفا فقد ورد أنه راشد[٦] وانه يخلف الاسود[٧] . وقد ورد ذكره عند ابن قزمان في زجلٍ له حيث يقول: [٨]

اسمار جاذا الزجل كلّ ابن راشد على نبل
ليس يقدر أن يقول مثل

وجاء أيضا

زجلك يا ابن راشد قوي متين
وان كان هو للقوّه فالحمّلين

ولكن يبدو ان راشد معاصر لابن قزمان فقد جاء (وكان في عصرهم بشرق الاندلس يخلف (الاسود)[٩] ولا شك انه هو ابن راشد . وهناك زجّال ورد اسمه عند ابن قزمان لم يشر اليه المؤرخون

---

(٥) العاطل الحالي ص ١٦ : وقد ورد أن مخترع الزجل ابن قزمان وهو خطأ ومن القائلين بهذا الرافعي تاريخ آداب العرب ج ٣ ص ٢٩٦ وص ١٧٧ ط القاهرة ١٩٤٠ وكذلك المطرب في ادب الاندلس والمغرب محمد عجاج وجماعته ص ٦٨ ط مصر

(٦) الادب العربي وتاريخه محمد مصطفى ص ١٠٧ مصر ١٩٢٧

(٧) العاطل الحالي ص ١٧

(٨) الزجل في الاندلس ص ٥٤

(٩) اعمال مهرجان ابن خلدون ص٤٨٥ والمقدمة لابن خلدون ص١١٥٥

وهو أخطل بن نمارة ويكاد أن يكون ثابتاً انه سبق ابن قزمان حيث انه ينقده نقد الماضي فيقول في مقدمة ديوانه : (ولم أرَ أسس طبعـــاً وأخصب ربعاً ومن حجّوا إليه وطافوا به سبقاً احق بالرياسة في ذلك والامارة من الشيخ أخطل بن نمارة ... لو عاش ابن نمارة وأحضرنا وإياه سلطان ... لَحارَ ولعلم ان لنا قصب السبق)[١٠] ويقول فيه ايضـــاً :

ابن نمـارة لم قط يجـدُل دوا
العشق والموت والسّوم فيه سوا

ويجب ان نخالف الاهواني في استنتاجه ان المقصود بقول ابن قزمان في هذا الزجل حاتم الطائي وأنه يمكن ان يكون زجّالاً سبقه حيث يقول ابن قزمان :

خلّيني من دين جميـــل وعروه
وفَالحسن لهم الناس أسـوه
يا مَنْ يفضّل على حاتم أحـــد
أشْ فنّ ؟ زاني يُهنز بهفي كل بَلَد

فالمقصود بحاتم هنا حاتم الطائي وليس زجـالاً كما ذهب الى ذلك الأهواني لأن سياق الكلام ومعرضه هو الاستشهاد بأبي نواس وجميل بثينة وعروة بن حزام فأن يكون المقصود حاتم الطائي أولى .

ان هؤلاء المؤرخين الذين يذكرون أسماء اشخاص معينين قالوا الزجل يكادون ان يكونوا كلهم مخطئين إذ أن اقوالهم كما أثبتنا ليست مستندة الى شيء اللهم إلا اعتبارنا ان أخطل بن نمارة الذي تكلم عنه ابن قزمان كسابقٍ له يمكن ان يكون أول من فعل ذلك وسنذكر في تراجم بعض الشخصيات الأخرى عن ادعاء نسبة الزجل الى كل منهم ولا بد لنا قبل الانتقال الى الحديث عن أسبقية الموشح او الزجل ان نتعرض لمقدم بن معافى القبري الذي عاش بين سنتي ٢٢٥ ــ ٢٩٩ اذ أن هناك من ينسب له الزّجل بصورة شبه أكيدة وقد يكون هو المرجّح

(١٠) الزجل في الاندلس ص ٥٣

على ابن نمارة باعتبار أنه سابق لابن قزمان ت٥٥٥ بفترة طويلة ولكن هناك ازدواج في الروايات من حيث كون مقدم هو الذي صنع الازجال ام الموشحات وسنورد اراء الكتاب في ذلك فيقول غرنباوم (بأن الاندلسيين أخذوا يمارسون التنويع في التقفية والنغمات . وهو شيء محرم في القصيدة التقليدية ـ بحماسة متزايدة بعد أن اخترع الموشحات مقدم بن معافى القبري حوالي ٩٠٠ ...) [١١] ويؤيد هذا عمر فروخ ولكنه يضيف (ولكن لم يصل الينا من موشحاته شيء)[١٢] وجاء في كتاب الكتاني (من شعراء عصر عبدالله بن محمد وعبدالرحمن الناصر ذكره ابن فرج فى كتاب الحدائق واليه ينسب الفضل في اختراع الموشحات) [١٣] وقد ورد إسم آخر مشابه له في ازهار الرياض (واول من صنع هذه الموشحات بافقنا واخترع طريقتها فيما بلغني محمد بن محمود القبري الضرير)[١٤] وورد في رواية اخرى (المقدم بن معافى القبري) وحينما عرض الضبي والحميدي لترجمته لم يشيرا أي اشارة الى اختراعه الموشح أو ما شابه ذلك وكل ما قالوه انه شاعر معروف في ايام عبدالرحمن الناصر وذكرا له هذه الابيات الثلاثة [١٥]).

اشجيت ان طربت حمامة وادي
ميادة في ناعم ميادِ
تلهو وما منيت بجفوة زينب
يوماً ولا بخيالها المعتادِ

---

(١١) دراسات في الادب العربي فون غرنباوم ص٢١٣ بيروت١٩٥٩

(١٢) تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون عمر فروخ ص ٥٨٧ بيروت ١٩٦٦

(١٣) التشبيهات من اشعار اهل الاندلس محمد بن الكتاني ص١٣٤ بيروت ـ

(١٤) ازهار الرياض في اخبار عياض المقري ج ١ ص ٢٥٣ مصر ١٩٤٠

(١٥) بغية الملتمس الضبي ص ٣٦٠ مجريط ١٨٨٤
وكذلك جذوة المقتبس الحميدي ص ٣٥٥ مصر ١٩٦٦

لا ترجُ إذ سـلبت فؤادك زينب
عيشاً فمـا عيش بغير فـؤاد

والمستشرق الاسباني جنثيالث يخلط بكلامه ولا يريد أن يفصح فهو حيناً يعتمده كصانع للموشح فقط واحيانا للزجل والموشح فمن قوله الاول (كان أول من استعمل هذا الفن الشعري ـ الموشح ـ مقدم بن معافى القبري الضرير الذي عاش بين سنتي ٢٢٥ـ٢٩٩)[١٦] واما قوله الثاني فمثل (ولم يبق لنا من نظم مقدم القبري شيء ولكن يغلب على الظن أن موشحاته وازجاله كانت من أبسط طراز)[١٧] ، وأما كيفية صناعته لها فانه كان يضعها على اشطار الأشعار غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملة يأخذ اللفظ العامي او العجمي ـ ونلاحظ هنا ان الزجل هو الذي يحتوي اللفظ العامي ـ فيسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان ، واذا اردنا ان نرفض قول جنثيالث اذا كان يقول بانه اول من اخترع الزجل فان ذلك يكون عن طريق ان جنثيالث قال الموشحة والزجل بمفهوم أن الموشحة ما خرج على الشعر العربي بنوعيته القديمة اضافة الى ذلك فان هناك من يقول بأن الموشح سبق الزجل كما سيأتي وانما تكلمنا هنا على مقدم القبري باعتبار الرأي الذي يقول بأن الزجل سبق الموشح ـ كما سيأتي ـ وبذلك يكون ما اخترعه مقدم هو الزجل وليس الموشح ★ ، ولعلنا إذا بحثنا كيفية ظهور الزجل وسبب ظهوره واسبقيته على الموشح وأسبقية الموشح عليه لعلنا اذا فعلنا هذا أضأنا

---

(١٦) تأريخ الفكر الاندلسي ١٥٣ ويقول ص ٦١٣ (يعتبر الفن الشعري الذي ابتكره مقدم بن معافى القبري والذي نجد أظهر نماذجه في ديوان ابن قزمان)

(١٧) نفس المصدر ص ١٥٣ .

★ واذا كان جنثيالث لم يصرح فقد صرح الدكتور علي محمد حمودة قائلا (ويرجع اصل الزجل الى القرن التاسع ويعد الشاعر الاعمى مقدم بن معافر مخترعا له) تاريخ الاندلس ص ٩٩

الموضوع اكثر . ونستطيع ان نقسم آراء المؤرخين في هـذا المذهب الى ثلاثة اقسام :ـ

١ ـ الرأي الاول : وهو ما ذهب إليـــه المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي حيث ذهب الى أنه لما كان الموشح استعمل في فترته الأولى كلمات عامية ورومانية لم تصبح جائزة فيما بعد إلا فى الزجل فربما دلّ هذا على اسبقية وجود الزجل على وجود الموشّح : (إذ نشأ في أوساط الشعب ثم ظهر الموشّح بالتدريج عن طريق تنقية الزجل من الشوائب العامّية وانتقاله الى ايدي الادباء) (١٨) ويناقش كراتشكوفسكي قول ابن خلدون الذي يرى ان الزجـل هو تحوير الموشح لا اكثر ولا أقل ويرفضه ثم يضيف ان هنالك معلومات أخرى تدلّ على عكس ما ذهب اليه ابن خلدون ، ثم يبدأ باستقراء ديوان ابن قزمان ، على ان استنادات اغناطيوس كراتشكوفسكي لا تتعدى رواية لابن بسام يقول فيها ان مخترع اوزان هذه الموشحات ـ على حد قوله ـ هو مقدم بن معافى القبري الضرير وانه كان يصنعها على اشـطار الاشعار غير ان اكثرها على الاعاريض المهملة غير المستعملـة يأخذ اللفظ الأمي والعجمي فيسميه المركز ويضع عليه الموشحة فيعلق كراتشكوفسكي قائلاً ان ما يهمه من هذا النبأ هو شيئان اولاً تحديد الزمن لنشأة هذه الموشحات وهو من حيث كون الشاعر مقدم عمـل في قصر الامير عبدالله بقرطبة ٨٨٨ـ٩١٢م وثانياً هي الاشارة الواضحة الى ان الموشح استعمل في تلك الفترة المتقدمة من الزمان كلمات عامية ورومانية لم تصبح جائزة فيما بعد إلا في الزجل ، ويضيف (وربما دل هذا على تقدم الزجل في الزمان) (١٩) .

ويذهب الدكتور شوقي ضيف الى نفس المذهب تقريباً فهو يقول معلقاً على قول ابن خلدون الماضي (وينبغي ان نلقى كلام ابن خلدون

---

(١٨) دراسات في تاريخ الادب العربي اغناطيوس كراتشكوفسكي ص ١٤٠ موسكو ١٩٦٥

(١٩) دراسات في تاريخ الادب العربي ص ١٤٠

فى نشأة الزجل وتأخر هذه النشأة عن فن التوشيح بشيء من الحذر فقد رأينا ان الموشح نفسه كان يبنى في اول امره ـ كما يقـــول ابن بسام ـ على بعض الكلمات الاعجمية فالمعقول ان يكون الزجل قـد نشأ معه مباشرة وربما سبقه ويمكن ان نقول انهما جميعاً فن واحـد ذو شعبتين شعبة تغلب عليها الفصاحة وشعبة تغلب عليها العجمة) (٢٠)

٢ ـ الرأي الثاني : وعليه اكثر المؤرخين وأولهم ابن خلدون في قوله (ولما شاع فن التوشيح في اهل الاندلس واخذ به الجمهور لسلاسته ... استحدثوا فناً سموه بالزجل والتزموا النظم فيه على مناحيهم (٢١) ومن الذين ذهبوا الى هذا الرأي حسن جاد حسن وجماعته في كتاب الادب العربي في الاندلس حيث جاء (... وان كان تأخر الزجل عن الموشحات في النشأة الادبية قليلاً ... وهكذا تولّـــد الزجل عن الموشحات) (٢٢) وذهب إليه أيضاً مارون عبود حتى انه يسمى الزجل موشحاً عامياً فى قوله (ونظموا الموشح باللغة العامية فلقّب بالزجل) (٢٣) وكذلك ذهب جرجي زيدان الى ان (في هذا العصر (الرابع العباسي) نضجت الموشحات الاندلسية وتوسّع اهلها في وصف المناظر الطبيعية ووضعوا فناً سموه الزجل) (٢٤) ولم يدافع أو يسند أحد من هؤلاء المؤرخين رأيه ببرهان أما (يوهان فك) فيقول بذلك الرأي ويسند رأيه. وملخص هذا الرأي هو أن (٢٥) محاولة نظم الزجل ـ الموشحـــة الشعبية الاسلوب كما يسميها أحياناً ـ انما امكن التجاسر عليها بعد أن تقدّمت الموشحات الفصيحة باقتباس عبارات وجمل مبتذلة عن لغة

---

(٢٠) الفن ومذاهبه في الشعر العربي شوقي ضيف ص ٣٥٣ بيروت ١٩٥٣

(٢١) مقدمة ابن خلدون ابن خلدون جـ ١ ص ١١٥٣

(٢٢) الادب العربي في الاندلس حسن جاد وجماعتـــــه ص ٦٢ المحمديـــــة ـ

(٢٣) ادب العرب مارون عبود ص٣٢٧ بيروت ١٩٦٠

(٢٤) تاريخ اداب اللغة العربية جرجي زيدان جـ٣ ص١٣ دار الهلال

(٢٥) العربية يوهان فك ص ١٨٩ القاهرة ١٩٥١

الشعب وهيأت بذلك الصيغ والقوالب في لغة العامة للاندماج في أوزان الموشحة . وهناك رأي للركابي اكثر معقولية وصدقا حيث يذهب الى ان الموشح كان قفزة من القفزات التي أدت الى الشعر الشعبي العامي المسمى بالزجل . ويضيف الكاتب الى اننا يجب ألا نفهم من هذا ان الموشحات هي وحدها التي أدت الى ظهور شعر الزجل لأن هذا الشعر في نظره كان دائما نتيجة طبيعية لانتشار يمكن ان يحدث في كل زمن وفى كل بقعة تضعف فيها السليقة العربية . ويستنتج ان الموشحات ليست السبب كله في ظهور شعر الزجل وانها لم تدع الى نشوئه لأنه نشأ من نفسه وانما تطورت باتجاهه وساعدت على انتشاره ورواجه .

٣ ـ الرأي الثالث : وهذا الرأي ليس له استقلال تام وانما فيه شيء من الرأي الثاني ويقول هذا الرأي كما ذهب إليه احسان عباس[٢٦] ان نشأة الموشحات والازجال إنما كانت نتيجة الحاجة الشعبية الى الغناء بالأضافة الى التأثر بالاغنيات الأعجمية الشائعة يومئذ في الاندلس ، فالزجل فى بدايته اغنية شعبية لم تبدأ إلا حين تم ازدواج اللغة العربية في الاندلس وانقسامها بين لهجة دارجة واخرى مكتوبة ، وافتراض ان الاغنية الشعبية هي أم الزجل يؤدي الى افتراض ان تكون صلة الزجل بالغناء وثيقة ، ويستشهد احسان عباس بابن سعيد حين ذكر أن البداة كانوا يغنون نوعا من الأزجال على البوق وبابن قزمان حينما يتحدث في ديوانه عن التغني بالأزجال . ويذهب الى هذا الرأي الدكتور شوقي ضيف وان كان يعتبر رأيه ظنا حيث يقول (ونحن نظن ظنا ان الشعر حدثت فيه تعديلات كثيرة فى اوزانه تحت تأثير نظرية الغناء الجديدة ولنتصور الآن ان الملحنين عندنا والمغنين يسعون جادين الى احداث نظرية غنائية جديدة فيها أثر للالحان الاجنبية أليس ذلك يتطلب من الشعراء جهدا حتى يلائموا بين اوزان شعرهم وهذه

(٢٦) تاريخ الادب الاندلسي (عصر الطوائف) احسان عباس ص ٢٥٧ بيروت ١٩٦٢

النظرية الجديدة) [٢٧] ويستنتج الدكتور ان الاغاني تطورت تحت تأثير موسيقى الالات في صور مختلفة حتى انتهت الى الموشحات والازجال . واذا كان للموشحات هذا التأثير في الزجل فيجب ان نتحدث عنها قليلاً لنرى مقدار ارتباطها بالغناء وعلاقتها بالزجل بعامة .

والموشحات قصائد شعرية موضوعة للغناء وليس لغيره وقد اكثر المؤرخون من ربط الموشحات بالغناء فهذا الفاخوري يقول (ومهما يكن من أمر فالموشحات ثمرة الشرف والتنهيق والغناء)[٢٨] . وجاء في دار الطراز (واكثرها ـ الموشحات ـ مبني على تأليف الارغن والغناء بها على غير الارغن مستعار وفي سواه مجاز)[٢٩] بل يذهب عوض الكريم[٣٠] الى ان الموشحات بنيت على انغام عجمية خارجة على أعاريض الخليل ، ويذهب البعض[٣١] الى أنها ليست الا تطورا للشعر المسمط الشرقي وهذا ما ذهب اليه هارتمان ونيكل ، أما اسعد داغر[٣٢] فيرى أنها مما استنبطه شعراء الاندلس وسمّوه بهذا الاسم لما فيه من صنعة وتزيين وترصيع ، فالاندلسيون[٣٣] لم يجمدوا على ما ورثوه من أوزان الشعر العربي والمواليا بأنواعها بل زادوا عليها وتفننوا فيها أيما تفنن باختراعهم الموشحات والازجال . وكان[٣٤] الموشح في بدء أمره لا ينظمه فحول الشعراء بل يأنفون من النظم فيه لانهم يعدونه فنا شعبيا ولما يعتوره من لحن وانحراف عن الأوزان العربية ولكن تطوره واحتلاله

(٢٧) الشعر الغنائي في الامصار الاسلامية شوقي ضيف ص ١١٨ القاهرة ١٩٥٣

(٢٨) الجديد في الادب العربي ، الفاخوري ص ٤٢٢ بيروت ١٩٥٨

(٢٩) دار الطراز ، ابن سناء الملك ص ٢٢٥ دمشق ١٩٤٩

(٣٠) فن التوشيح ، عوض الكريم ص ١٠٩ بيروت ١٩٥٩

(٣١) صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ، ص ٤١٦ مدريد ١٩٦٢

(٣٢) مصادر الدراسة الادبية ، اسعد داغر ج ١ ص ٢٣٩ لبنان ١٩٦١

(٣٣) الوسيط في الادب العربي ، اسكندري ص ٣٨٧ مصر ١٩١٦

(٣٤) المنهل في الادب العربي، علي جواد طاهر ص١٩٩ بغداد ١٩٦٢

المكان المهم في الحياة الاجتماعية والادبية دفعهم الى الاعتراف به ومزاولة نظمه . وقد وصف ابن بسام الموشحة بقوله : « هي أوزان كثر استعمال أهل الاندلس لها في الغزل والنسيب تُشَنِّفُ على سماعها مصونات الجيوب بل القلوب »[٣٥] . وفي أسباب نشأتها يقول شوقي ضيف[٣٦] بأن الجو المشبع بالترف واللهو هو الذي هيأ لظهور الموشحات فان نمو الموسيقى فيه ونمو الغناء وما يلاحظ على أهل الاندلس من اتخاذ انواع وألوان مختلفة من الكرنفال كل ذلك أعد لسبق الاندلس غيرها من الاقاليم العربية في فكّ الشعر العربي ونظمه سموطا سموطا كأنها تريد ان تزاوج بين هذا الشعر وبين اغانيها الشعبية ولم تلبث ان ازدهرت في عصر ملوك الطوائف عصر الشرف واللذة .

والرأي الذي نجده أثبت وأقرب الى الواقعية هو أن الزجل إنما نشأ للحاجة الشعبية للغناء كما قال احسان عباس أو ان الاغنية الشعبية هي الأصل في ظهور هذين الفنين وذلك لاشباع الحاجة التي كانت فيها الحالة الاجتماعية في الاندلس كما ذهب الى الاهواني[٣٧] .

---

(٣٥) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ابن بسام جـ ٢ ص ١ـ٢ القاهرة ١٩٤٢

(٣٦) ابن زيدون شوقي ضيف ص ١٤ مصر ـ

(٣٧) الزجل في الاندلس ص ٣

شؤون زجلية

أورد صفي الدين الحلي اختصاصات زجلية نورد منهـــا ما يأتي باختصار ، فمن ناحية علل الالفاظ واصطلاحهم فيها زيادة حرف او نقصه او ابداله وما منعوا من استعماله وهو جائز في الشعر وما اجازوه وهو ممنوع فيه وهو قسمان[1] :

١ ــ ما منعوا من استعماله وهو جائز فى الشعر وهو عدّة اشياء منها استعمال اللفظة اللغوية على نمط العرب ومنها الاعراب بالحروف والحركات ومنها استعمال ادوات النحو كالسين وسوف التي تقرب الفعل من الحال والاستقبال ومذ ومنذ وكاف التشبيه وأمثال ذلك .

٢ ــ ما استعملوه وهو غير جائز في الشعر وهو عــدة اصطلاحات جمعوا في اكثرها بين الضدّين فمنها زيادة حرف في الكلمة وانقــاص حرف من اخرى فمثل الاول قول مدغلّيس[2] :

الله يعلمْ ما بقلبي وبيّـــــه لقد اتحكّم هذا العشق فيــه

وأصل الكلمة تحكّم فزادها ألفاً . ومثل الثاني وهو انقاص حرف كقول ابن قزمان :

يــا مــن قتلني غيـــــابو مَتْ نستريح مــن عــذابو

فأصل الكلمة متى فحذف الياء منها . ومنها زيادة همزة غير أصليــة في كلمة وانقاص همزة أصلية من اخرى كقول ابن قزمان[3]

اين الصدود وقد طــال ما طال إتخيل اتْ بعد صورة الحال

---

(١) العاطل الحالي ص ٣٠
(٢) نفس المصدر ص ٣١
(٣) العاطل لحالي ص ٣٢

وقد تعرّض الحلّي لنقد الدكتور احسان عباس حيث أن الدكتور خطّأ كل ما ذهب اليه الحلّي في هذا المجال فهو يرى أن الحلي[٤] قد نسي فرق اللهجة حين ذهب يقيس كلام الاندلسيين على كلام المشارقة في عصره أو يقيسه على اللغة الفصحى اذ انه يرى ان الفعل (اتحكم) قد زيدت فيه ألف ولم ينتبه الى انه انما ينظر فى لهجة جديدة مستقلة وان الاصل الذي كان يجب ان يؤسس عليه بحثه هو استخراج قواعد عامة لتلك اللهجة لا نسبة الزيادة والنقص الى الالفاظ فيها وقياسا على اللغة الفصحى او على ما في بعض اللهجات العامية بالمشرق .

ونحن نرى ان كلّا من الدكتور احسان عباس والحلي مصيبان فيما ذهبا اليه كل من وجهة نظر خاصة وانما الاختلاف من وجهة نظر كل منهما وطريقة نظره وزاوية هذه النظرة ، فالحلي مصيب في تقديره وحكمه من حيث انه كان يكتب بالعربية الفصحى عن طارىء على العربية الفصحى فَحُقّ له ان يقارن ويميز ويقيس وعلى الاخص حينما نفهم ان التطور والتغيّر في العربية الفصحى هو الذي أوجد لهجات كانت في الاصل عربية فصحى ثم بدخول عنصر أجنبي تحوّلت الى لهجة عامية كما حدث بالنسبة للغة الزجل من اللغة العربية الفصحى ، وحتى لا تكون القضية على هذه الصورة فان للحلي الحق في أن ينسب هذا التشابه الشكلي بين لغة الزجل والعربية الفصحى الى العربية الفصحى على اعتبار ان العربية أصل" أولا ونقطة انطلاق للحكم اللغوي عنده ثانيا . ويؤيده في حكمه أيضا ان اللهجة ليست ذات وجودٍ خاص بها بل لابد أن تكون قد سبقتها لغة فصحى تأتي هي في المرتبة التالية لها وليست اللهجة بكافية ذاتها بذاتها لكي تُستخرج منها قواعدها الخاصة بها كما أراد احسان عباس .

هذا من وجهة نظر الحلي ، أما احسان عباس فانه نظر الى اللهجة باعتبارها ذات وجود خاص يمكن ان تستنتج قواعده دون اعتبار لكون هذه اللهجة لها أصل فى العربية الفصحى يمكن ان يساعد على فهمها ،

---

(٤) تاريخ الادب الاندلسى (عصر الطوائف) ص ٢٥٣

بل حتى محاولة ايجاد القواعد للهجة من الضروري ان تعتمد القواعد للغة الاصلية لان اللهجة تطور وتغير كما قلنا • فاحسان عباس مصيب أيضا باعتبار انه يعتبر اللهجة قائمة بذاتها وفي لحظة سكونية بالنسبة للتقعيد اللغوي فلا يمكن استنتاج قواعدها منها دون مساعدة القواعد الاصلية للغة الام •

واذا كان لنا ان نلوم الدكتور عباس على شيء فانما نلومه على انه نسب للحلي أنه اراد استخراج قواعد اللهجة العامية للزجل ومن ثم على هذا الافتراض والنسبة بنى حكمه عليه مع ان الحلي لم يقل أنه أراد استخراج قواعد اللهجة العامية وانما أراد فقط أن يميز او ان يبين الفرق بين هذه وتلك لا على أساس تقعيد القواعد وانما فقط اثبات التغاير ،ولو كان أراد التقعيد حتى ولو على اساس المقارنة لقال مثلا بأن كل فعل يزاد له همزة او تنقص منه همزة في كل افعال هذه اللهجة ، وسيكون مخطئا ولا شك اذ ان هذا الشيء ليس حاصلا لكل الافعال فلا تصح القاعدة العامة التي ارادها الدكتورعباس منه وسيكون مخطئافي ذلك أيضا•

ومن اختصاصات الزجل تعرض الحلي في الفصل الثاني من كتابه الى عدد الاوزان واصطلاحهم فيها وما منعوا من استعماله وهو جائز في الشعر وما أجازوه وهو ممنوع وهو قسمان(٥) :

١ ــ ما منعوه وهو جائز فى الشعر وهو الزحافات الظاهرة المتعدد جوازها عند علماء العروض والحزم والخزم (زيادة حرف في اول البيت ونقص اخر منه) •

٢ ــ أجازوه وهو ممنوع فى الشعر وهو استعمال الاوزان الخارجة عن بحور العروض الستة عشر ومخالفة كل سطر من البيت الآخر في القصر والطول والقافية • ثم تعرض في الفصل الثالث الى علل القوافي وهي على قسمين أيضا(٦) :

١ ــ ما منعوه وهو جائز في الشعر ومنه اشتراك الواو مع الياء في

---

(٥) العاطل الحالي ص ٥٢

(٦) نفس المصدر ص ٥٣

رَدْف القصيدة وهو حرف العلة الذي قبل حرف الروي .

٢ ــ ما اجازوه وهو ممنوع في الشعر ومنه ابدال أحد حروف الردف بغيره ليماثل ردف الزجل وهو أحد حروف العلة الثلاثة كقول مدغلّيس :

لقد أقبلتَ يا نسيم السحر بروائح قد بدرت للمسوك

فالواو قبل الكاف حرف الردف وهو ملزوم في القصيدة ثم قال :

على دارين اعبرت أو منها أجيت ان قط لَس بذا الذكا ندروك

فأبدل الياء من ندريك واوا ليماثل باقي الحروف .

ومن نقد الدكتور عباس يمكننا ان نستفيد بعض الملاحظات فهو يرى ان[٧] هناك أمرا وَهِم فيه الحلي وهو أنه عدّ قصائد مدغلّيس الثلاث عشرة التي وجدها فى ديوانه أزجالا ولم يتنبه الى أن الاندلسيين كانوا يسمّون هذا اللون (شعرا ملحونا) وان الزجل لديهم ذو دلالة مخالفة ويستند عباس الى ان ابن سعيد في المغرب يورد لاحدهم زجلا ثم يورد للزجال نفسه نموذجاً يميزه باسم الشعر الملحون والفرق بينهما في ابتعاد الزجل عن شكل القصيدة لابقاؤه قصيدة سقطت منها الروابط الاعرابية وقد[٨] جعل ابن قزمان تعرية الزجل من الاعراب ميزة لهو لكن هذا لا يعني ان كل ما جرد من الاعراب سمي زجلا ، كما ان الحلي جعل حدود التفرقة التي اصطنعها المشارقة بين انواع من المنظومات باللغة الدارجة مثل الزجل والبليق والقرقى ... الخ ولكن هذه التفرقة ــ على حد قول الدكتورعباس ــ لم تكن موجودة بين الاندلسيين وذلك لان الزجل لم يقتصر عندهم على الغزل والنسيب والخمري والزهدي ولو تنبه الحلي لديوان ابن قزمان لوجد أزجاله تحوي المدح والرثاء أيضا كما تحوي الاحماق الذي أطلق عليه المشارقة اسم البليق وتحوي الهجاءالذي

(٧) تأريخ الادب الاندلسى عصر الطوائف ص ٢٥٣
(٨) نفس المصدر ص ٢٥٤

سمي عند أهل المشرق باسم القرقي ، فالزجل الاندلسي لم يعرف هـذه التقسيمات بحسب الموضوعات بل كان في الامكان أن يشمل اسم الزجل تلك الموضوعات جميعا ، ولم يميز ابن سعيد الا نوعا واحدا من الزجل كان البداة يغنون به على البوق وقد سماه (الطيار) .

وما يلاحظ على نقد ابن عباس انه يحاول أن يخلق للحلي الخطأ بل ويكاد يفترضه افتراضاً ليحكم عليه فليس هناك كاتب واحد ميّز هذا التمييز الفاصل بين الزجل والشعر الملحون وكل ما وصل إلينا إنما هو كل ما كان ملحوناً فانما هو زجل . أما أن ابن سعيد سماه مرّة زجلاً ومرة شعراً ملحوناً فنحن لا نستطيع ان نسلم أنه كان يقصد التفرقة فقد يكون قوله يتضمّن إرادة الترادف لا أكثر وصدفة لا غير كان هـذا الاسم على ذاك فليس لنا ان نبني على رأي استنتاجي واحد وننفي آراء الاجماع النقلية وعلى الأخص إذا عرفنا ان اشارة ابن قزمان واضحة . وشيء آخر هو ان المشهور عن مدغليس انه زجّال فكيف يحـاول ان يستخلصه الدكتور احسان من الزجالين ليضعه ضمن الشعراء الملحنين فلم أجد ــ وسيأتي ذلك في ترجمة مدغليس ــ كاتباً واحداً يتكلم عن مدغليس إلا ويعطيه إمارة الزجل بعد ابن قزمان فهل كان زجّـالاً بشعرٍ ملحونٍ ليس بزجل . أما ان الحلي قسّم الزجل حسب مضمونه الى أقسام ولم تكن تلك التسمية موجودة عند الاندلسيين فليس هذا بمقنعٍ أيضاً إذ أن الحلي قد يكون يقصد في تقسيمه أن يميز بين هذه الأزجال ومواضيعها وأغراضها التي تضمّنتها ، وسواء كان بها مدح أو هجاء أو غزل فإن كل ذلك لا يعني أن الحلّي مخطيء في تسميته وحتى لو كانت هذه الأزجال ليست لها هذه الاسماء وانما هي أسماء شرقية فان التسمية تشملها باعتبار ان الاسم له مدلوله الضمني الموضوعي فما الذي يمنع أن نسمّيه به اذا كان منطبقاً عليه ؟

وهناك من يرى[٩] ان التزام عدم الاعراب في الأزجال مضافاً الى

---

(٩) تأريخ الأدب العربي في الاندلس ابراهيم علي ابو الخشب ص.٣٠ القاهرة ١٩٦٦

المحافظة فيها على لغة التخاطب مما يذهب بها بذهاب تلك اللغة ويجعلها لدى الخلف مبعث الحيرة ومثار الاستغراب ذلك ان اللغة العامية ليست ذات ضوابط يرجع إليها كل أحد ولا قوانين يسار عليها في جميع العصور ولدى كل طائفة من الناس وانما هي خليط من لهجات الأمة التي تعيش فيها ولغات الذين يتعاونون معها على مصالح الحياة من الأمم الأخرى وقد أصبح[١٠] الزجل موضع شيوع وشغف عند المشارقة والواقع ان آثار ابن قزمان الشعرية كانت تعرف فى بغداد اكثر منها في مدائن المغرب الاسلامي ،وعلى[١١] الرغم من هذا القالب الفني المبتكر الذى يبدو من الازجال بوضوح انه قائم على أساس مقرر ، موضوع أو مصقول إلا أن الطابع الشعبي لها يدل على أنها إنما نظمت ليتغنى بها المنشدون في الاسواق أو المتسولون الجائعون في الطرقات أو أصحاب المجون أو النشوان والسكرى ، ولا تصاغ[١٢] الأزجال ليتغنى بها الانسان منفرداً وانما ينشدها الناس جماعة في الطرقات بصوت جهير وسط جمهور يتجمّع افراده حول المنشد ثم ينشدون الخرجة جماعةً عقب كل فقرة يلقيها المنشد وحده تصاحب ذلك كله آلات الموسيقى كالعود والناي والطنبور والدف والصاجات وربما تخلّلها الرقص . ولم يكن من الممكن والحالة هذه ان تصاغ هذه الأغاني في قوالب الشعر الفصيح فحسب والواقع ان لغتها ليست لغة الشعر المعروفة التى كان المؤدّبون يلقونها للدارسين بل الدارجة التي كانت جارية على الالسن في قرطبة بما فيها من دعايات سوقية وعبارات مبتذلة وألفاظ مواخير وعبارات الطلاب التي يستعملونها في مباذلهم وألفاظ الصبيان إذ يلعبون في الطريق . والزجل[١٣] عادة من حيث محتواه قسمان الأول : هو المقدمة وموضوعها التغزل وهو مايشبه

---

(١٠) سلسلة محاضرات وتاريخها ليفي بروفنسال ص ٢٤ القاهرة ١٩٥١

(١١) تاريخ الفكر الاندلسى ص ١٦٠

(١٢) نفس المصدر ص ١٦٠

(١٣) دراسات في الادب العربي ص ١٤٠

أحياناً النسيب في الشعر الكلاسيكي التجديدي والثاني وهو الأساس وموضوعه المديح اكثر الاحيان ، ويصف الازجال بأنها (أشعار مفحشة عابرة مجردة من الحياء فياضة بالمجون والتصغيرات وسلة في غير تحفظ في عبارات منقطعة غير متصلة المعاني او السياق) (١٤) .

أما بيئة الزجل والزجال فأين نرى مكان الزجل من الشاعر والوشاح والمجتمع ؟ إنه يتكلم بلغة غير معربة ولكنها مفهومة لدى الشاعر والوشاح لأنها اللغة التي يتكلمون بها في البيت والسوق وفيما بينهم يتخاطبون ويجيء فى فنه بأوزان وقوافٍ غير أوزان القصيدة وقوافيها فالى أي طبقة ترى الزجال يتّجه الى العامة في الاسواق والشوارع والاعراس والى الخاصة من أصحاب التقاليد وساكني القصور كما فعل الوشاحون والشعراء .

أما(١٥) المستشرق الاسباني ريبيرا فقد رأى الزجال يتجه الى العامة في الشوارع والاسواق فيتخيل الكاتب ان جماعة كبيرة من أهل قرطبة فيهم النساء والاطفال والرجال يلتقون في إحدى أزقّة المدينة يغنون في صوت واحد هو المطلع ويكررونه مرات لأنهم يحفظونه إذ هو أغنية معاصرة مشهورة ثم يكفّون عن الغناء ويبدأ الزجال فينشد الغصن الأول وحده والجماعة سكوت ثم يعود الجمهور الى الانشاد وقد أنكر النقاد على ريبيرا هذا المذهب ومنهم الاستاذ غرسيا غومس وقد أخذ موقفاً وسطاً فلم ينكر ان ابن قزمان صوت في الشارع وان لم يأخذ بكل ما قاله أستاذه ريبيرا . وقد توصّل(١٦) الأهواني مستقرئاً ديوان ابن قزمان الى أن الزجل لم يكن فنّاً شعبياً وإنما هو مزيج من فنين فن خاص قديم متداول بين الشعراء والوشاحين وفن شعبي لا سند له من التراث المكتوب وان جمهور الزجل لم يكن الشعب فى الأزّقة والحارات كما لم يكن أيضاً الجماعة الضيقة المحدودة التي نظم لها الشعراء القصائد .

---

(١٤) الشعر الاندلسى غرسياغومس ص ٦٢ القاهرة ١٩٥٦
(١٥) الزجل في الاندلس ص ١٤٣
(١٦) نفس المصدر ص ١٤٧

مكانة الزجل الأدبية

ومن الشؤون الزجلية قيمة هذا الزجل أدبياً فقد اختلفت الآراء فيه وقد يكون هذا الموضوع مرتبطاً بابن قزمان خاصة باعتباره الممثل الأعلى للزّجل ومع هذا فسنتعرض له هنا بإيجاز . فهناك من يرى [1] أنه مهما قيل في الازجال من أنها الادب الشعبي الذي يصوّر الاحاسيس ويسجّل العواطف التي تثور بها نفوس العامة وأفئدة الدهماء فانه لا يراها إلا عنواناً على تخلف اللغة وهجر الفصحى وعدم العناية بلغة الضاد أو الاقبال عليها ولا يشتغل الناس بها ويجعلونها لسان تصويرهم وتعبيرهم من ترف في البيان وتقويم في اللسان وازدهار الأدب أما العامية فهي كالناطق الذي يلقى كل واحدٍ بوجهٍ وكل صديق بدعوى وكل صاحب بمقال وكل رفيق بلون وعامية المدينة غير عامية القرية وعامية قطر غير عامية الآخر وهكذا تكون بلبلة اللسان والبيان والفكر والرأي والعقل والمنطق والهوى والميل والذين يدعون إليها أو يشجعون عليها ربما غاب عنهم انها فتنة في الأرض وفساد كبير .

وهذا الرأي على ما يبدو قد خلط بين الكتابة بالعامية والكتابة بالفصحى ولم يبيّن القيمة الادبية للزجل كما اراد أن يعبر ، واكثر كلامه كان طلباً للفصحى وللكلام فقط لا للتقويم . ويرى غومس رأياً قريباً من هذا فيقول في معرض حديثه عن شعراء كالاعمى التطيلي وابن بقي (وهؤلاء الشعراء المحدثون أنفسهم الذين ما كانوا ينظمون أزجالاً وموشحات فى المناسبات الحافلة لو أنّهم عاشوا في زمان آخر وجدوا أنفسهم الآن مضطرين الى استعمالها ذلك أنه ظهر في أوساط معيّنة خلال ذلك العصر المرابطي ــ الذي هبط الذوق فيه هبوطاً بالغاً ــ الميل الى كل ما هو شعبي سوقي خالٍ من الحشمة والتوقّر وقد كانت

(١) تاريخ الادب العربي في الاندلس ص ٣٠٢ــ٣٠٥

هذه النزعة أشبه بثورة على القوالب المتكلفة التي كان الارستقراطيون المتزمتون يلتزمونها ويحرصون عليها)[٢] . ويقول في موضع لاحق (ومهما يكن في الأمر فهي أشعار مفحشة عابثة مجردة من الحياء فياضة بالمجون والتصغيرات مرسلة في غير تحفظ)[٣] .

وفي الحقيقة ان قول غومس ليس فيه شيء من الحكم النقدي الفني وانما هو مجرد وصف لحالة الزجل الاجتماعية ونوعية المواضيع والمضامين التي يطرقها وسواء طرق باب الفحش أم لم يطرقه فان هذا ليس حكماً نقدياً يؤخذ به وانما المدى الفني الذي وصله الزجل كفن شكلي او كشكل فني قبل كل شيء ، وحينما نقول (الزجل) فاننا لا نقول (الفحش) كي نحكم عليه بهذا الاعتبار وانما حين نقول (الزجل) فإن أوّل صفة من صفات تداعيات هذه الكلمة هو هذا (الشكل) الفني الجديد فى هذه اللغة او اللهجة الجديدة فما هو حكم هذا الشكل كفن؟ ولسنا هنا في معرض نقاش الاخلاق باعتبار نقدي حينما تكون مضمون العمل الفني .

وهناك من يرى في الزجل عكس رأي غومس اذا أمكن اعتباره نقداً هذا الكاتب هو بروفنسال حيث يقول عن ابن قزمان (ونستطيع ان نبين كيف ان هذا الشاعر الاندلسي استطاع ان يضيف الى تراث بلاده الادبي والفن شيئاً جديداً على الرغم من اتخاذه العامية لغة للأدب)[٤] وقد وصف ابن قزمان وزجله بالقول (كان ابن قزمان نسيجاً وحده أدباً وظرفاً ولوذعية وشهرة حلو الكلام مبرزاً في نظم الزجل وهذه الطريقة الزجلية بديعة تتحكم فيها ألقاب البديع وتنفسح لكثير مما تضيق سلوكه على الشاعر)[٥] .

---

(٢) الشعر الاندلسى ص ٦٢
(٣) نفس المصدر ص ٦٣
(٤) سلسلة محاضرات وتاريخها ص ٢٨
(٥) قصة الادب في الاندلس عبدالمنعم خفاجة جـ٢ ص ١٥٢ بيروت ١٩٦٢

أما الدكتور الاهواني فانه رغم جعله في كتابه فصلاً خاصاً باسم مكانة الزجل وقيمته الأدبية إلا أنه لم يتعرض الى كلام يوصلنا الى حكم عام على الزجل بل انه بدأ في هذا الفصل بتفصيلات عن الزجل وعلاقته بالمجتمع وتأثير القصائد بالازجال ثم بعض تحليلات لديوان ابن قزمان وموضوعاته ولم يتعرض لقيمته الادبية كما يتعرض لها الناقد ومن ذلك قوله (فرأينا تجديداً واسعاً في فن المديح في الزجل جعلـــه يختلف عن القصيدة فهو مديح في قالب الغزل أو غزل فى قالب المديح لا يتورّع الناظم فيه عن ذكر جمال الممدوح الجسماني)[٦] وكأنما هذه الصفة لم تكن موجودة في المديح عند ابي نواس مثلاً في مدحه للأمين وغيره. غير أن الكتاب كما قيل فيه (قيم في بابه فيه هـدوء الدارس المتحرّي وحسن استقرائه وسعة اطلاعه والتزامه بمنهج سليم)[٧] ونحن نوافق على وصف هذا الكتاب بهذه الصفة ونضيف الى انه خالٍ من الحكم النقدي على فن الزجل كفن لاكتراث فقط ولعلنا نستطيع ان نحكم على الزجل وقيمته من خلال تعرّضنا للزجّالين كما سيأتي .

---

(٦) الزجل في الاندلس ص ١٥٧

(٧) الادب العربي في اثار الدارسين احمد العلي وجماعته ص٢٦٧ بيروت ١٩٦١

أثر الزجل في الشعر الأوربي

أما من ناحية تأثير الزجل في الشعر الأوربي فالذين تكلموا عليه اكثر من أن نحصيهم وسنتعرض لبعضهم فقط . فالمستشرق الروسي كراتشكوفسكي يقول[1] بأن أثر الزجل يلمس لمس اليد في بعض أجزاء كتاب الحب والخير لخوان رويس وهو أضخم أثر من آثار الادب الاسباني في القرن الرابع عشر وقد استفاد الكاتب من كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة والسندباد فلا عجب ان تتخلل كتابه اشعار من نوع الزجل[2] وقد ساعد الزجل على تفسير عدد من التراكيب التي كان شكلها العروضي غير واضح لمؤرخي الادب الاسباني المعتمدين على المواد الرومانية وحدها ففي كنتيفاس الفونس العاشر يستخدم شكل الزجل في أغلب الأحيان وفي الأخرى يستخدم هذا الشكل مع شيء من التجديد هو عبارة عن استعمال القافية الضمنية أو الداخلية.أما بروفنسال[3] فيذهب الى أننا قد نجد زجلاً لابن قزمان لا نرى له مثيلاً في الادب الشرقي مهما استقصينا ثم نجده قريب الشبه مثلاً ببعض شعر آدم دي لاصال . وقد[4] بدأت اهمية الزجل لأوربا تنجلي بوضوح مفاجيء في العقود الأخيرة ، وقد أثبتت البحوث العلمية ان استعمال أوزان الشعر الزجلي ازدهرت في قرطبة وطليطلة قبل ظهورها في أوربا بخمسين سنة فالاسلوب البروفنسالي عند التروبادور الأولين بتفاصيل خروجه على المعتاد يشبه الأسلوب العربي في اسبانيا ويشرح كراتشكوفسكي هذا التأثير ويدافع الذين يقولون ان الكتب العربية قليلة الانتشار في ذلك الوقت ويردّ قوله (فهذا اعتراض فاشل عندما تتكلم عن الانتشار الشفوي خصوصاً

(١) دراسات في تاريخ الادب العربي ص ١٤٨
(٢) نفس المصدر ص ١٤٧
(٣) سلسلة محاضرات وتاريخها ص ٢٠
(٤) دراسات في تاريخ الادب العربي ص ٧٤

اذا نظرنا بعين الاعتبار الى أن الزجل ينظم باللغة العامية والى اثبات ازدواج لغة اهالي الاندلس على عهد العرب فلربما يوافقون عن قريب على رأي العالم الاسباني القائل (ان المفتاح الوحيد الذي سيفسّر لنا اوزان شعر الغزل المختلف الاساليب في العالم المثقف خلال القرون الوسطى متوارٍ في غزل ابي قزمان)(٥) اما الدكتور حمودة(٦) فيقول بأن أول ظهور للزجل في أوربا قد وقع في القرن الثاني عشر مع شعر الشعراء الجائلين وقد أدخله إليها كونت يواتيه ودوك اكيتانيا غليوم التاسع الذي كان أول شاعر غنائي عرف في اللاتينية الجديدة فتابعه على ذلك ماركابرو وجوفر رودل وآخرون من الشعراء الجائلين ، ولامراء في ان غليوم التاسع قد اطلع على وجود الزجل أيام حملته الصليبية في الشرق وقد يكون هذا قد حدث قبل ذلك فمن المحتمل ان يكون قد وجد مغنّون اندلسيون في حاشية أرملة الملك سانكو الارغوني التي تزوّجها . ومهما يكن من أمر فانه يجب إقصاء الافتراض القائل ان الشعر الغنائي اللنجدوكي من أصل لاتيني لاسيما ان تطابق الطريقة العربية والطريقة الرومنية يتم على وجود قرابة بينهما لا ريب واذا أنعمنا النظر في أفضلية الحضارة العربية ثم في اقدام الأمثلة العربية الاندلسية كان أقرب التفاسير الى الطبيعة حول صلة القرابة هذه هو أن يفترض أمر تقليد الشعر الرومني للشعر العربي وهذا هو نفس النص الذي جاء به حيدر بامات في كتابه مجالي الاسلام(٧) .

ولو اردنا أن نسمي الاشياء بأسمائها من حيث تأثير الزجل الاندلسي في الشعر الاوربي ولو فضلنا هذا التأثير في كل من الشعر الفرنسي والايطالي والالماني والانكليزي والاسباني لكان الأمر على ما يأتي :

أما من حيث تأثير الزجل في الشعر الفرنسي فيقول جنثالث ناقلاً

(٥) دراسات في تاريخ الادب العربي ص ٧٤
(٦) تاريخ الاندلس علي محمد حمودة ص ٩٩
(٧) مجالي الاسلام حيدر بامات ترجمة عادل زعيتر ص ٣٠٢-٣٠٣

عن منتدى بلايو قوله (ان جميع مذاهب الشعر الرفيع المهذّب الحواشي التي ظهرت قبل القرن السادس عشر إنما نشأت ـ مباشرة او غير مباشرة ـ عن ذلك الازدهار العابر القصير المدى الذي ازهره الشعر اللنجدوكي)[٨] ويضيف جنثالث ان هذه السيادة التي ادركها الشعر البروفنسي خلال النصف الثاني من العصور الوسطى من غير شك لا يمكن ان تشمل طراز الشعر الاندلسي (يقصد الزجل) ، إذ أن هذا الأخير أقدم من ذلك الشعر البروفنسي بزمن طويل . والواقع[٩] ـ يضيف جنثالث ـ ان أوائل التروبادور البروفنسيين استخدموا أقدم القوالب الزجلية الاندلسية وتغنّوا بغرامياتهم الجارحة للحشمة بنفس الحرية وعدم التحرّج اللذين نراهما عند ابن قزمان . وفي العصر الذي عاش فيه الشاعر سركامون Cercamon أي قبل عصر الكونت دِ پواتييه Le Comte de Poitiers جد على الشعر البروفنسي (تقليد جديد) لم تبق لنا منه نماذج ولكن الاغلب انه هو نفسه الذي سار من أتوا بعده مباشرة . والتغيير الذي أدخله الكونت دِ پواتييه على الطريقة الاندلسية يتلخّص في وضع (الخرجة) في نهاية الغصن لا في أوّله واعتباره إياها (قفلاً) أو نهاية وجعله قافية أول بيت من هذه (القفلة) يرد في القطعة على نفس قافية البيت الذي قبل البيت السابق عليها .[١٠] وقد ظل هذا الطراز الشعري الاندلسي ذي الاغصان (أي الزجل) باقياً فى صناعة الألحان الموسيقية خلال العصور الوسطى ولاسيما في هذا النوع المعروف بالرُّوندو (Rondo وهي ترجمة للفظ العربي (نوبة) اي نظام تعاقب فريق من العازفين على عزف قطعة موسيقية) فيعزف عازف" لحناً موسيقياً يقابل الخرجة نرمز له بالحرفين أ ب (ab) ، ثم يلي ذلك غصن موسيقى من ثلاثة ألحان متشابهة يليها

(٨) تاريخ الفكر الاندلسى ص ٦١٤
(٩) نفس المصدر ص ٦١٥
(١٠) نفس المصدر ص ٦١٧

لحن في نفس نغم الخرجة فيصبح وزن الغصن أأأب aaab ويجيء بعد ذلك لحن في وزن الخرجة الاولى أب (ab) وهناك أغانٍ فرنسية شعبية مثل اغنيتي (الشقية في زواجها) La Mau Mariee ووردة دنكرك Le Rease de Dunkerk مصوغة في قالب الزجل بل ان هنـــاك مقطعات فرنسية قصيرة شاعت بين الناس في القرن السابع عشر سارت كلها على طريقة عرفت بالرئوندية Le Rondet وهي تذكرنا ببحور الزجل الاندلسي . أما في الشعر الانكليزي (١١) فقـــد كان الزجل الاندلسي شائعاً في انجلترا كذلك اذ يبدو انه كان القالب الشعري ذا الاغصان الذي صُبَّت فيه بعض الاغاني الشعبية القديمـة التي كانت تقال في العذراء وبعض أناشيد عيد الميلاد كتلك التي نجدها في شعر دوميريل Dumeril وهي أزجال أغصانها في اللغة الانجليزية الدارجة والبيت الرابع من كل غصن باللاتينية . بل لازالت قوالب الازجال باقية الى الآن في الاغاني الشعبية الايرلندية والاسكتلندية حيث نجد رباعيات من الطراز الذي كان يصوغه مسلمو الانـــدلس ونظامهـــا أأأب aaab.(١٢) أما في الشعر الالماني فان اغاني المينيزنجر Minnesaenger قطعاً نجد نظام القوافي فيها شبيهاً بنظامها في الزجل الاندلســي ومثال ذلك القطعة التالية للمنشد هرمان دِر دامن(١٣) Herman der Damen

Got hat wunders vil gewundert
Manich tusent manich hundert
Eynez han ich uz geswndert
Das ist wunderbere.

ان لله عجائب يُعجَب الناس بها كثيراً

(١١) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٦١٨
(١٢) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٦١٨

وهي الاف كثيرة ومئات كثيرة
وقد تبينتُ انا واحدة منها
وهذا أمر عجيب ★

ومن حيث تأثيره فى الشعر الايطالي يعتمد جنثالث على الدراسة التي قام بها الاستاذ مليلس ڤاليكروسا فيقول[١٤] باننا نجد في الشعر الايطالي موضوعات مما يختص به الشعر الشعبي الاندلسي مثل موضوعي الشقية في زواجها او الغجريات La albada وما يشبهها وكذلك القالب الشعري المسمّى بالكوتتراستو Contrasto ومعناه الخصام وقد اثبت الاستاذ بيزي Pizzi أنه يرجع الى أصول فارسية وكان يصاغ في قالب الزجل الاندلسي ومن امثلة ذلك قصائد الكوتتراستو التي نظمها شيولو دال كامو Ciullo dal Camo وكذلك تبدو اوزان الازجال والموشحات في الطراز الشعري الايطالي المعروف بالبالاّتا La ballata أي (المُرقِصات) وهو يمثل الشعر في احسن صوره ، ويظهر طراز الزجل كذلك في المدائح المقدّسة Laudessacras التي تشبه المنظومات الأسبانية المعروفة باسم المديح الالهي a lo divino

ومن حيث[١٥] تأثير الزجل فى الشعر الاسباني فان الحديث يطول عنه لكونه اقرب الى الاسبان منه الى غيرهم فان تركيب الازجال يكشف عن أوزان كثيرة من المنظومات التي كان مؤرخو الادب الاسباني في حيرة من أمرها ومثال ذلك (كنتيجات الاغاني) ألفونسو العاشر فقد أظهر

---

(١٣) نفس المصدر ص ٦١٩

★ حينما انقل نصا بلغة اخرى فانما للتدليل فقط على نوعية التقفية التي يتبعها الشاعر وعلى ترتيب الخرجات وطريقة وزنها فقط وقد اعتمدت ترجمة حسين مؤنس لكتاب تاريخ الفكر الاندلسى .

(١٤) تاريخ الفكر الاندلسى ص ٦٢٠

(١٥) تاريخ الفكر الاندلسى ص ٦٢٣

ريبيرا ان معظمها من طراز الازجال وان كانت الخرجة تنظم في بعضها على قافية سابقة . مثل(١٦) .

Omildades Con pobreza quer a virgen Coroada
mas d'orgullo con requeza e ela muy despagada
E desta razon vos dierei un miragle muy fremoso
que mostrou santa Maria Madre do Rey grorioso
a un creigo que era de a servir deseioso
e por en gran maravilla le foi per ela mostrada

ان السيدة العذراء المتوّجة لتفضل التواضع مع الفقر
على الغرور والغنى ، لأنها تحتقرهما احتقاراً شديداً
ولهذا السبب فانني سأقصّ عليكم معجزة بالغة الجمال
صنعتها القديسة مارية أم الرب المجيد
لرجل دين كان راغباً في خدمتها
وقد صنعت العذراء هذه المعجزة لتريه اياها

هذا ونحو خمس اغان فقط من هذا الكتاب منظومة على الطريقة الجليقية الشعبية (المشتقة بدورها من الزجل) وتسع أخرى مرسلة على الطريقة البروفنسية أما الباقي فمنظوم في قوالب الازجال . والى هذه النتيجة نفسها وصل ريبيرا عندما درس تركيب موسيقى (الكنتيجات) إذ أنها هي الاخرى قامت على اساس من الموسيقى الاندلسية الاسلامية.

بعد هذا العرض لتأثير الزجل في الشعر الاوربي تتعرض لبعض الزجالين ولا نستطيع ان نأخذ كل الزجالين الاندلسيين فهم اكثر من ان يحصيهم العدّ وان لم يكونوا كلهم بمرتبة واحدة بل وحتى اخبارهم قليلة في الكتب وسنعرض مختارين بعضهم ، وهناك كتاب لم أجد له أثراً فيما بحثت من المكاتب وقد ورد ذكره(١٧) في كشف الظنون وهو الدر المكنون في سبع فنون لمحمد بن احمد بن الياس الحنفي وقد رتبه

(١٦) تاريخ الفكر الاندلسي ص ٦٢٣
(١٧) كشف الظنون حاجي خليفة جـ١ ص ٣٦٧

على سبعة ابواب في فن الاشعار البديعة وفن الموشحات والمواليا وفن الكان وفن القوافي وفن الازجال ، وأما اهم الزجالين الذين كثر ورود ذكرهم كزجالين فهم مقدم بن المعافى القبري على تنوّع روايات اسمه وقد قيل كما سبق انه مخترع الزجل والرمادي الذي ادخل التغيير على الموشح فكان الزجل كما قيل ايضاً ومدغليس واسمه عبدالله بن الحاج وهو أشهر الزجالين بعد ابن قزمان وكذلك ابو عبدالله اللوشي [١٨] وأبو الحسن علي بن جحدر وأبو الحسن سهل بن مالك ومنهم لسان الدين بن الخطيب ذكره صاحب النفح قائلا (واما موشحاته وازجاله فكثيرة وقد انتهت اليه سياسة هذا الفن)[١٩] ومنهم[٢٠] محمد بن عبدالعظيم من اهل وادي آشي ويخلف الاسود له محاسن في الزجل منها قوله[٢١] .

حين ننظر الحذ الشريف البهي ينتهي بالحمر لما ينتهي
يا طالب الكيمياء وفي عين حي تنظربها الفضا وترجع الذهب

ومنهم أم الكرام بنت المعتصم بن صمادح صاحب المرية وكانت تبعث الى محبوبها الاصمي ببطائق منظومة أزجالاً وابراهيم بن سهل اليهودي وابن المرغي النصراني والزاهد المتصوّف احمد بن وكيل وابو الحسن الششتري الوادي آشي ومحي الدين بن عربي المرسي ونزهون بنت القلاي الغرناطية وكانت تلميذة لأبي بكر المخزومي الشاعر الضرير وهي[٢٢] التي قالت لابي بكر بن قزمان الزجال وقد رأته بغفارة صفراء وكان قبيح المنظر : أصبحت كبقرة بني اسرائيل ولكنك لا تسرّ الناظرين وغير هؤلاء الزجالين كثير .

---

(١٨) دائرة معارف الشعب جـ٢ ص ٢٠٤ الشعب ١٩٥٩
(١٩) نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب المقري جـ٩ ص٢١٩ بيروت ١٠٤١ هـ
(٢٠) الادب الاندلسي احمد بلا فريج ص ١٢٨ ـ ١٨٤١
(٢١) اعمال مهرجان ابن خلدون ص ٤٨٥
(٢٢) المغرب في حلى المغرب جـ٢ ص ١٢١

ابن قزمان

هناك خلط وقع فيه اكثر الكاتبين عن ابن قزمان وذلك لاشتباه اسمه باسم عمه فقد [1] ورد اسمه هكذا محمد بن عيسى بن عبدالملك بن عيسى بن قزمان وكنتيه ابو بكر ، وورد[2] محمد بن عيسى بن عبد الملك بن قزمان وورد محمد[3] بن عبدالملك بن قزمان وهذه الاسماء كلها لابن قزمان لا من حيث الاسم ، فهناك استنتاج يأتينا هنا وهو ان محمد بن عيسى بن عبدالملك يجب ان يكون ابن اخ محمد بن عبدالملك ولكن حتى جنثالث يروي اسمه محمد بن عبدالملك وهو يقصد الزجال ولهذا فإننا سوف نقف عن التحقيق في الاسم وننتقل الى المسمى ، فهناك من يورد اسم ابن قزمان العم وهو يقصد الزجال ومن هؤلاء دائرة معارف الشعب حيث جاء فيها (يذكر باسم الوزير الجليل ابي بكر محمد بن عبدالملك بن قزمان في النسخة الوحيدة الموجودة في ديوانه بسنت بطرسبرج)[4] ولا يقصد هنا الزجال اذ أنه بعد ذلك قال خدم في اول عمره المتوكل ولم يخدم ابن قزمان الزجال المتوكل وحينما يذكر وفاته يذكر وفاة الزجال وهي ٥٥٥هـ بينما ابن قزمان العم هو الذي خدم المتوكل ومات ٥٠٨هـ . ومن العجيب ان ابن قزمان الزجال ولد سنة ٤٦٠هـ أي بينه وبين سقوط دولة المتوكل اثنان وعشرون سنة فمتى خدمه وصار وزيرا ؟ وقد أخطأ في ابن قزمان ابن الخطيب حينما ترجم

---

(١) الوافي بالوفيات الصفدي جـ ٤ ص ٣٠٠ معجم المؤلفين كحالة جـ ١١ ص ٢٠٦

(٢) المقتضب من كتاب تحفة القادم ابن الابار ص ٤٢ . القاهرة ١٩٥٧

(٣) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٥٨

(٤) دائرة معارف الشعب جـ١ ص ٢٦٢

★ يرى برفنسال امام ابن قزمان غير عربي وجرسه اسباني بحث ص ٢٥ سلسلة المحاضرات وتاريخها .

له في الأحاطة وخلطه بعمه وقد اورد ابن بشكوال في الصلة ترجمة لأحدهم قال (محمد بن عبدالملك بن قزمان من أهل قرطبة يكنى ابا بكر كان من اهل العلم والذكاء والفهم وكانت عنده دراية ورواية ولغة وأدب وافر توفي رحمه الله ليلة السبت لعشر خلون من رجب سنة ثمان وخمسمائة[٥] والظاهر ان هذا ليس ابن قزمان الزجال وانما عمه لانه توفي سنة ٥٥٥هـ كما سنفصل .

وهناك من لم يصّرح بالمقصود بابن قزمان كما جاء في دائرة المعارف للبستاني (ابو بكر بن قزمان الوزير الكاتب قال في القلائد ... الخ)[٦] كما ان البستاني يخطيء اذ يقول لم يذكر له التاريخ ولادة ولا تاريخ وفاة فقد ذكر لابن قزمان الزجال وعمه ميلاد ووفاة ومن المعروف ان المذكور بالقلائد هو العم وليس الزجال ولذا وصف بالوزير الكاتب ، ولم يورد[٧] ابن خاقان ــ اضافة الى هذا ــ له زجلاً كما انه قال بأنه خدم المتوكل اذن فليس هو الزجال .

أما ابن بسام في الذخيرة فلم يفرد له ترجمة ، ومع ان جنثيالث ذكر[٨] انه يجب عدم الخلط بينهما إلا أنه كما استنتجنا نسبياً يذكر نسب من يرجّح كونه عمّاً على ان يكون الزجال ، ويميز بينهما الزركلي[٩] في الاعلام والأهواني[١٠] .

وينتسب ابن قزمان الأصغر كما يسمى احياناً الى بيت بني قزمان وكان من بيوت قرطبة العريقة وجاء فى سبب قوله الزجل انه[١١] في الاول كان مشتغلاً بالنظم المعرب فرأى نفسه تقصر عن افراد عصره كابن خفاجة وغيره فعمد الى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم فصار

---

(٥) الصلة ابن بشكوال جـ٢ ص ٥٤٠ ١٩٥٥
(٦) دائرة المعارف البستاني جـ ١ ص ٦٤٨ بيروت ١٨٧٦
(٧) قلائد العقيان ابن خاقان ص ١٩٥
(٨) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٥٨
(٩) الاعلام الزركلي جـ ٣ ص ٢١٤
(١٠) الزجل في الاندلس ص ٦٧
(١١) المغرب جـ١ ص ١٠٠ والاعلام جـ٢ ص ٢١٤

امام اهل الزجل المنظوم بكلام عامة الناس وقد قال[١٢] ابن قزمان في مقدمة ديوانه انه وجد في الاندلس ضربان من الزجل جنباً الى جنب : اولهما شعبيّ خالص جاف غليظ يستعمل الزجّالون فيه اللغة الدارجة وعجمية اهل الاندلس وكان يوافق اذواق العوام • وثانيهما مصقول مهذّب مصطنع متكلف يستعمل الناس فيه حركات الاعراب التي لا تجري بها ألسنتهم في دارج الحديث ، ولم يبق من النوع الأول شيء لأن مصنفي كتب الأدب ازدروه وضربوا عنه صفحاً وأما الثاني فلدينا منه اطراف ولكنها تخلو من الجاذبية وسهولة الطبع التي يمتاز بها النوع الاول •

ويذهب[١٣] ريبيرا الى ان ابن قزمان درس ازجال جميع من تقدموه ثم شق لنفسه طريقا جمع بين الفريقين الذين ذكرناهما وعرف كيف يحتفظ بأحسن خصائصهما فرأى انه من فساد الذوق والتكلف ان تستعمل حركات الاعراب في شعر يراد ان يُتغنى به جماعةً في جمهور افهام الناس كافة • وهو يريد (بلغة الكلام) اللهجة العامية الدارجة التي تشوبها كلمات وعبارات من عجمية اهل الاندلس ، على ان يكون ذلك في اسلوب متخيّر رشيق • وهو يرى ان الزجال ينبغي عليه ان يختار من الموضوعات أحفلها بالفكاهة وأخفها وينبغي ان يكون مايختاره جذاباً رشيقا فياضا بالحيوية مما يثير اهتمام الجمهور وينبغي الا تكون الموضوعات معقدة أو بلاغية متكلفة وانما سهلة مما تجري به ألسنة عابري السبيل ومما يستعمله الناس فى حلقات الموسيقى الشعبية الصاخبة ومجالات اللهو والتسلية بل ينبغي ان تكون الموضوعات حارة محرقة حادة منضجة من الفاظ العامة ولغات الخاصة • أما قالب الاغاني وتركيبها فتستعمل له كل بحور الشعر الفصيح القائم على أسس العروض، ولا بد ان تصاغ القطعة على نحوٍ سلس غير متكلّف حتى تجيء سهلة طبيعية صادرة دون تعمل ولا جهد •

(١٢) تاريخ الفكر الاندلسى ص ١٥٨
(١٣) تاريخ الفكر الاندلسى ص ١٥٩

لقد[١٤] سار ابن قزمان في هذا الاتجاه الوسط الذي انتهجه قبله استاذه اخطل بن نمارة ولكن ازجال ابن قزمان حفلت بذكر الرذائل الملازمة لروح العوام وخلت من اي تحفظ او احتشام ومن ثم فاننا نجد فيها فحشاً مخجلاً وألفاظاً مبتذلة مما كانت تجري به ألسنة أهل الاحياء المتطرفة من قرطبة .

ويضم ديوان ابن قزمان تسعة واربعين ومائة زجل كل زجل منها يتكون ـ عدا الخرجة ـ من ابيات متساوية في عدد الاغصان ، وهو يلتزم هذا النظام في كل زجل وكل من الاغصان يتكون من اربعة اشطار الى اثني عشر شطرا ففيها رباعيات وخماسيات وسداسيات وسباعيات وثمانيات وتساعيات وعشريات وآحاد عشريات . وابسط أزجاله وهي الرباعية تبدأ بالقفل او الخرجة وهي شعر من بيت ذي قافية تلتزم في كل خرجات الزجل بعد ذلك ونحن نرمز اليها هكذا : ١١ ثم يلي ذلك ثلاثة اغصان على قافية واحدة نرمز لها بالحروف ب ب ب ثم تختم ببيت على قافية الخرجة (١) وعلى الرغم من هذا القالب الفني المبتكر الذي يبدو من الازجال بوضوح انه قائم على اساس مقرر موضوع او مصقول الا ان الطابع الشعبي لها يدل على انها نظمت ليتغنى بها المنشدون في الاسواق او المتسولون الجائلون في الطرقات او أصحاب المجون او النسوان السكرى والسكران كما يقول ابن سناء الملك ، ولا تصاغ الازجال ليتغنى بها الان منفردا أما اوزان هذه الاغاني فعلى الرغم من انها مشتقة من تفاعيل العروض الشعري التقليدي الا انها لا تلتزم قواعد النحو اذ ان الفاظها من الدارج الذي لا يعرف حركات الاعراب بل ان اللفظ بقوافي الازجال لا يخضع لاشراط التقفية المعروفة في الشعر الصحيح هذا على الرغم من ان ابن قزمان كان يستعمل الحروف الجامدة دائماً بطريقة اكمل مما نجده في الاشعار الاوربية القديمة على ما ذهب اليه جنثالث[١٥] ويتحرى ابن قزمان ان تكون الخرجة مما

---

(١٤) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٥٩

(١٥) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٦١

يستلفت انتباه السامعين ويجتذب اسماع الجمهور حتى يصغوا الى الزجل ومن امثلة ذلك :

أياما ملاح شرطه الخلاعة حرام الذي يعمل صناعة

وقوله فى خرجة زجل اخر :

نعطي ثيابي وننفق مالي فالشراب البالي

ويسمي ابن قزمان الجزء الاول من كل زجل (التغزل) وهو مطلع الزجل الذي يحوي اول موضوعاته ولا بد أن يكون في أمرٍ عام او تقليدي وينبغي ان يصاغ قال سهل خفيف فكه ويغلب ان يكون موضوعا جنسياً أو خمريا أو سخراً من المجتمع لا هو بجارح ولا مثير وانما مبتذل لا تحفظ فيه . ثم اننا نجد ابن قزمان يعالج الموضوعات الغرامية بطريقة لا نكاد نجد فيها اي طابع عربي صرف فلا ذكر للجمل ولا للتجوال في القفار ولا أثر للحياة البدوية الظاعنة ولا نجده يذكر الديار التي هجرها أهلها . او يشير الى موضوع من موضوعات تاريخ العرب بل اننا لا نجده يذكر الاسلام الا في مواضع قليلة ويكون ذلك عادة عند ذكره للفقهاء والاتقياء وهو ينال منهم في غير حياء ويركبهم بألوان السخرية ، فاذا ذكر شهر رمضان والصيام سخر من الصائمين واطرى المفطرين والمقبلين على الخمر واللواط وهو لا يذكر الدين الا في ثلاثة مواضع او اربعة فى بعض أزجال المديح من ديوانه ويلحظ القارىء بوضوح ذلك التوقير للدين صدر عن ابن قزمان[١٦] وهو في معرض السخط على نصارى الشمال .

---

(١٦) تاريخ الفكر الاندلسى ص ١٦٣

عنق : عناق . أي تمور : اين تمرّ اين تذهب . اوش : أولماذا . تريد تقلق : تقلق وفتر الغرامة : دع فرصة الغرام . رالييني : رأى رقتي وليني. قلّ ما عليه انا عازم : ما أقل ما استطيع حزم رأيي عليه فلا يفلح : ولا يفلح مع ذلك . الصبا يشاكل ما يعمل : ما يعمله يتفق مع صباه . داع داع : دعه دعه . يدلل : يتدلل . قد ترايت : قد ظهرت . من صدر : تكملة للشطرة السابقة : لم تَرَقط أجمل من صدر يشتهيني لضمه . ويتوقح يتجرأ ، يضطر الى الجراة .

أما القسم الثاني من الزجل وهو المسمى بالمديح فيتغنى فيه ابن قزمان بفضائل من يهدي اليه الزجل ثم يختم بطلب معروف أو رفد، ومن ازجال ابن قزمان زجل نقله ريبيرا كاملا الى الاسبانية وقد سبق به ابن قزمان شعر الالياذا او المقطعات الغجرية بخمسين سنة ونجد فيه ذكر الرقيب ولقاء الحبيبين في ظلام الليل وخوفهما من طلوع الفجر وصراع الهوى في قلبيهما قبل الفراق ولابد ان هذا الموضوع كان قد قدم به العهد واضمحل في الاندلس لان ابن قزمان يسخر منه وهذه بيتين من هذا الزجل وهو رقم (٤) في الديوان

تشربْ المليح وتسقيني لا رقيب علينا ولا حاكم كذا أملحْ

بتنافى رضى قَبَلْ وعَنَقْ
اي تمور .. أوَشْ تريد تقلقْ
وفرّ الغرامة لمن يعشـقْ
من صبر لشدقي رالينـي
قَلْ ما عليه انا عازم
فلا يفلح
الصّبا يشاكل ما يعملْ
داعْ داعْ يجي ويدَلّلْ
قد تَرَأيت ولم نرا قَطْ أجملْ
مَن صَدْرْ لِظَمْ يشتهيني
ينبَهَر عليه نهدا قايمْ
ويتوقّعْ

ومعنى البيتين كما يأتي :

لقد بتنـا فى رضى ما بين اعتناق وتقبيل
اين تريد أن تذهب ؟ او ماذا يقلقك ؟
دع تكاليف الغرام لعاشقك
إن من يصبر لعنقي يتبين بعد ذلك كم أنا رفيق
وما أقل ما استطيع ان احزم امري على شيء

ولهذا لا يفلح في شيء

ومعنى البيت الثاني :

ان ما يعمله (محبوبي) يتفق مع صباه

فدعه دعه يمضي ويتدلل

ها انت قد ظهرت ، ولم نَرَ قط اجمل منك

لشدّ ما اشتهى ضمة لصدره

ان عليه نهداً قائماً ينبهر منه الانسان

ويتوقح

والمدائح في شعر ابن قزمان تبلغ حوالي ثلثي شعره كله اي نحو مائة زجل وقد مدح بها اشخاصا اختلفت اصولهم ومكانتهم لما تتبين ذلك ممن نعرفه من ممدوحية ويستخلص من مدائحه انه تقرب الى ثلاث شخصيات احداها الوشقي ويدل نسبه على انه كان من اشراف قرطبة وان اصله من مدينة دمشق باقليم ارغون ولا نعلم عنه بعد ذلك شيئا ، والاخريان شخصيتان مغروفتان هما أبو القاسم احمد بن حمدين واخوه جعفر بن حمدين وكلاهما كان قاضيا في قرطبة في النصف الاول حتى القرن الثاني عشر وجعفر هو الذي رأس فى ١١٤٥م الثورة على المرابطين في اسبانيا ومدح ابن قزمان عدا هؤلاء الثلاثة اشرافاً من المرابطين واشرافا من قرطبة واشبيلية وغرناطة ، لكن الشاعر لا يقتصر على مدح الممدوح وانما يمدح نفسه في نفس الوقت ويمدح شعره ويعلي من قدرته الى اقصى حد بطريقة تذكر بقدماء الشعراء في العصور الذهبية . والى جانب قصائد الغزل والمدح يحوي ديوان ابن قزمان على التقريب اثني عشر زجلا وثلاثين زجلا غراميا خالصا وقد استعمل هذه المعاني التشبيبية والخمرية كمطالع لمدائحه ايضا .

وقد شبه احسان عباس ابن قزمان بالشمقمق ومن جرى مجراه حيث يقول : « وفي ذلك العصر (المرابطي) نجد ابن قزمان صورة جديدة من ابي الشمقمق وأبي الرقعمق والاخنف العكبري في تحديد

(١٧) سلسلة محاضرات وتاريخها ص ٢٨

ما يطلبه من قمح او شعير أو جبة او غفارة او خروف للعيد حتى ان المقامات في الاندلس لم تعبّر عما بلغته روح الكدية مثلما فعل الزجل»[18] .

واذا صح[19] ان يكون ما في ازجاله دالا على طريقة الحياة فانه كان يحب اللذات ويقبل عليها بنهم فيشرب الخمر ويفتش عن المغامرات مع النساء والغلمان ويكره الزواج ويجد فيه منغصات كثيرة وشتّان في رأيه بين الحب والزواج يقول :

يقبّل الزوج ولا يدري طيب القُبَل
لَسْ يربح القبل والتعنيق غير العشيق

ولم يكن[20] ابن قزمان من اولئك الناس الذين يحبون البيت ويألفون حياة الاسرة بل كان قلق الشخصية مسرفا محبا للشراب ولوعا باللهو والعبث وقد قصّ علينا انه تزوج مرة ولكنه ضاق بالزواج والمرأة وبمسؤولية البيت وقد عبر عن هذا احسن تعبير وأقوى في اسلوب يكاد يكون حديثا صالحا لكل عصر

صرتُ عازب وكان لعمري صواب
لَسْ نزوّج حتى يشيب الغراب
انا تايبْ يالس نقول بزواج
ولا حَلنوا ولا عروس ابتاج
لا رياسة غير اللعب بالزجاج
والمبيت بَرّا والطعام والشراب
شَعْفَ كانت ويا بعد لَسْ تعود
من يسميه نخذ اليه العود
للنصارى مرّوا احلوه واليهود
أو لحمق بصخرتين أو مصاب

(١٨) تاريخ الادب الاندلسى ص ٩٠
(١٩) الزجل فى الاندلس ص ٧١
(٢٠) الزجل في الاندلس ص ٧٦

راه لم قط يقـــوم يَذمعـــه فهيم
والاســـاتيذ تجنّبوه مـن قـــديم

والشواغل[٢١] التي تشغل ابن قزمان هي المال والشراب والعشق أما المال والحصول عليه فكان الهمّ الاكبر الذي استبدّ بالزجال ووجه فنه الى الوجهة التي نراها فى ديوانه وعلى الرغم من ان بيت بني قزمان بيت قديم ذكر المترجمون أسماء كثيرين منه حتى قال عنهم الحجـاري انهم لم يزالوا ما بين وزير وعالم ورئيس الا ابن قزمان فانه كان فقيرا وقد اشتغل بكتابة الوثائق واشتغل بالشعر والتوشيح والزجل ليكسب قوته ويجد المال الذي ينفقه وظل مع هذا فقيرا او ضائعا على حدمايقول:

لَسْ عار عندك يا قطب المآثر ان نكون وشاح وزجّال وشاعر
واديب كاتب وعندي نوادر ونكون صنايع بحال مشطاقرع
ونكون كافي في كل طريقـة وفهيم حفّاظ وكاتب وثيقـــه
وتجي أوقات نعمل لك زعوقه إن ريت حالي تضحك حتى تشبع

أما من[٢٢] حيث الشراب والعشق فلم يكن لابن قزمان فلسفة فى الحياة الا اللهو وما يستلزمه من شراب وعشق وليس للدنيا بعـــد ذلك قيمة ولا للحياة نفع :

دنيـا هي كما تراها فاجتهد واربح زمـــانك
كل يوم وكل ليلـــة لا تخلّي مهرجـــانك
واشتفى عليه من قبل ان يجيء الموت في شـانك
لسّ ذي عندك مصيبة ان تموت والدنيـا حي
ساعَ دون شريب عندي لا شكل ولا ملاحـه
واشّ يوم بلا رقاعه واشّ يوم بلا وقاحـــه
لسّ نعدّ اللذّ لذه ولا يذ الراح راحـــــه
حتى تدخل شـفة الكأس بالشراب بين شفتي

(٢١) الزجل في الاندلس ص ٨٢
(٢٢) الزجل في الاندلس ص ٩٠

وفي العشق يدعي فى بعض ازجاله نوعا من الحب العذري ولكنه لا يلبث ان يقول بصراحة تمازجها عابثة البراعة

عشق المروّة غيري يدّعيه الله يرزقني القناعه فيه
قبلة وتعنيفة والذي يليه من يطلب اكثر يقع في الفضول

ولم تكن صلته مع النساء وحدها بل فى ديوانه أزجال كثيرة تفصح عن صلات له مع غلمان وقد أعلن هذا في زجل له حيث قال :

إخلع عذارك فى عشق الصبيان
والمعشوق ان ريت صعب الهيمان
اسقيه وثنّي عليه كف ما كان
فان شرب الكبير واجلد اشول ثاني
ينطرح ولو كان أسد

ثم يتوب ابن قزمان وكان قد دعا الله ان يطيل عمره حتى (نشبع من زماني)على تعبيره فيقول :

قد تاب ابن قزمان طوبال إن دام قد كانت أيام اعياد فالايام
بعد الطبل والدف وقتل الاكمام
من صمعة الاذان يهبط ويطلع امام في مسجد صار يسجد ويركع

ومن ازجاله التي جاءت فى المغرب(٢٣)

لو زارني صاحب التفريق قد كان نفيق
حتى نرى مثل ما قدريت من الامل
فماً حلو لا تقول سكر ولا عسل
يقبّل الروح ولا يدري طيب القبل
لَسْ يربح القبل والتعنيق غير العشيق
شربتِ سرّك وهو عندي جلّ المنى
وقمت للرقص بأكمامي على الغنا
واصبح الناس يذكر الله واصبحت انا

(٢٣) المغرب جـ٢ ص ١٦٩

ما بين الاتكـــال والابـــريق سكران غريق

ومن[٢٤] اخبار ابن قزمان انه حين كان صغيرا في المكتب دخل عليه صبيّ صغير مثله فناداه وأجلسه بجانبه وصار يحييه فرآه الفقيه على ذلك فضربه فكتب فى اعلى اللوح هذا المطلع :

الملاح أولاد إمـــــاره والوحاش اولاد نصـــــارة

واين قزمـــان جـا يغفر ما قبل له الشـيخ غفـــارة

فاطلع الفقيه على اللوح فرأى هذا المطلع فقال له هجوتنـا بكلام مزجول .

وخرج[٢٥] الى منتزه مع جماعة فجلسوا تحت عريش وامـامهم تمثال أسد من رخام يصبّ الماء فيه على صفائح من حجر مدرجه فقال:

وعريش قـام على دكـــان بحال رواق

واسد قد ابتلع ثعبـــان فيه غلظ ساق

وفتح فمّه بحـال انسـان فيه الفواق

وانطلق يجري على الصفاح ولقي الصباح

وكان[٢٦] ابن قزمان مليح المؤانسة فكه المجالسة فوجه اليه ابو عبدالله بن ابي الخصال يستدعيه ليلة انس فأساء الرسول الاسـتدعاء فردّه أبو بكر بن قزمان فكتب له ابن ابي الخصال

اني اهزّك هزّ الصـــارم الخـــدم

فأجابه ابن قزمان وهو من شعره الفصيح :

أتى من المجد امرٌ لا مردّ له نمشي على الرأس فيه لا على القدم

زمرٌ ورقص وما احببت من ملحٍ عندي واكثر ما تدريه من شيم

حتى يكون كلام الحاضرين بها عند الصباح وما بالعهد من قدم

يا ليلة السفح هلاّ عدت ثانية سقى زمانك هطّـال من الديم

---

(٢٤) الادب العربي في الاندلس ص ٦٣

(٢٥) قصة الادب في الاندلس ص ١٥١

(٢٦) مختارات من الشعر الاندلسي نيكل ص ١٧٩ بيروت ١٩٤٩

وقد توفي ابن قزمان سنة ٥٥٥هـ[٢٧] أو سنة ٥٥٤هـ[٢٨] .

أما مدرسة ابن قزمان وتأثيره فيمن جاء بعده فلا يمكننا حصرهم عدّاً فقد تعلم منه الششتري « اما معرفته ـ الششتري ـ بالشعر وخاصة بالموشحات والازجال الاندلسية فكانت على جانب كبير من العمق عرف ابن قزمان واستعار كثيرا من معانيه »[٢٩] والششتري اول من استخدم الزجل فى التصوف واهم اتباع ابن قزمان هو ابو عبدالله ابن الحاج المعروف بمَدْغَلّيس ، وقد انصرف الناس الى صناعة الزجل في كافة نواحي الاندلس ففي أرجون (سرقسطه) ظهر أبو بكر أحمد ابن مالك بن سيد اللخمي الشابي وفي بلنسيه ابن حريق وابن محمد الشاطبي تابع ابن مردانيش وفي نرسية ابو عبدالله محمد بن ناجية اللورقي وفي قرطبة محمد بن خِيرة كاتب المرابطين وكثر الزجالون في اشبيلية خاصة حيث ظهر شعراء برعوا في نظم الزجل البديع المبتكر من امثال ابي الحسن علي بن جحدر وابي بكر الصابوني واحمد بن جنّون وابن ابي حبيب الجزري الذي صلبه الموحدون لزندقته وأبي بكر بن صارم الذي رمي بالزندقة هو أيضا وأوذي ثم مات محترقا فى حريق شبّ في بيته وأحمد المقريني المعروف بالكساد وعبدالغفار بن دشلون وغيرهم كثيرون يصدق فيهم قول الشقندي « واول ما فيها ـ اي في الاندلس ـ من الشعراء والوشاحين والزجالين فما لو قسموا على برّ العدوة ضاق بهم والكل ينالون من خير رؤسائهم ورفدهم »[٣٠] .

وحتى في مملكة غرناطة أغرم الناس بهذا الفن الشعري وأقبل عليه من اهل المعرفة والعلم نفر مثل النحوي ابي حيان بن حيان وابن عبدالعظيم الوادي آشي وابن زمرك الذي اشتهر بصبحياته وذي الوزارتين ابن الخطيب الشاعر الناثر المعروف . بل ان ابن خلدون يذكر انه عندما

---

(٢٧) حضارة العرب في الاندلس بروفنسال ص ١٤٢ بيروت
(٢٨) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٥٨
(٢٩) ديوان ابي الحسن الششتري ص ٧ اسكندرية ١٩٦٠
(٣٠) تاريخ الفكر الاندلسي ص ١٦٦

زار غرناطة وجد الزجل الفن الشعري السائد هناك وكان الموريسكيون ينظمونه ايضا . وفي خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين توجّه من اهل الاندلس نفر من الفقهاء والمتصوفين والاطباء واهل الادب الى الشرق وكان لهم أثر عظيم هناك . وعن طريق بعض هؤلاء انتقل الزجل الى المشرق وكان اول من علم أهله صناعته ابو مروان بن زهر الذي مارس الطب في بغداد وأبو علي الشلوبيني النحوي وابن وكيل الزاهد الذي عرف بابن الاقليشي ومحي الدين بن عربي وابن سعيد الغرناطي الذي اجتمع في المشرق بشعراء اندلسيين هاجروا من بلادهم وانصرفوا الى صناعة الزجل في مهاجرهم ومن اولئك ابو الحجاج يوسف بن عقبة

أما أهم المتأخرين فهو أبو عبدالله اللوشي وكان من المجيدين بهذه الطريقة على ما وصفه ابن خلدون[٣١] وقد عده صاحب اعمال الاعلام[٣٢] من شيوخ الكتاب المبرزين في علوم الادب المخصوصين بالحكمة وفصل الخطاب ووصفه (بالمغلق) ابو عبدالله اللوشي ووصفه ابن خاقان بقوله « طود علا ، رسا رسوّ تبير وزند ذكاء اورى بالانشاء والتمييز الفضل حشو ابراده والنبل تلو صداره وايراده مع نفس عذبت صفاء وشيمة ملئت وفاءً واحتفاءً ومذهب صف صفاء التبر وخلص من الخيلاء والكبر وسعى لكل نجح ضامن ووقار كأن ثبيراً فيه كامن وادب زرّت عليه الاعجاز جيوبه وهبّت بعرف الاحسان صباه وجنوبه ونظم ونثر بلغا الغاية وفي يدهما للسبق لواء وراية »[٣٣] . فمن قوله مراجعا الوزير أبا القاسم بن السقاط ارتجالا وهو من فصيح شعره[٣٤]:

يا لابساً برد العلا ملفوفا ... بأجل مأثره وأسنى مفخر
اني وحقك لو جهدت مودّة ... نفس لابلغ كنه ما في مضمرٍ

---

(٣١) المقدمة ص ١١٥٨
(٣٢) تاريخ اسبانيا الاسلامية (اعمال الاعلام) ص ٣٠ بيروت ١٩٥٦
(٣٣) قلائد العقيان ص ٢٢٩
(٣٤) نفس المصدر ص ٢٣٠

لوكنت اسطيع الوفاء بما أرى لجلال قدر الاوحدي السمري
لنضوت جلباب الشباب غفارة وخلعتها بدلالـــة من ممطر

ومن اشهر ازجاله يمدح السلطان ابن الاحمر قوله :

طلّ الصباح قم يا نديمي نشربوا ونضحكو من بعـــد ما نطربو
سـبيكة الفجر احكت شـفق في فيلـق الليـل فقم قلبـو
ترى عيارها خالص ابيض تقي فضـة هو لـكن الشـفق ذهّبو
فهو النهار يا صـاحبي للمعاش عيش الفن فيـه بالله ما اطيبوا

مدغليس

لقد خلف عبدالله بن الحاج امارة الزجل ، وزالت مع ابن قزمان دولة المرابطين وجاءت دولة الموحّدين وكان[1] لابدّ لهذه الدولة من زجال يقوم مقام ابن قزمان فكان مدغليس ، وكان[2] مدغليس مشهوراً بالانطباع والصنعة في الازجال فشبه[3] بابي تمام فى الشعر لهذه الصناعة اللفظية ، وقيل في[4] سبب قوله الزجل انه كان اديباً معرباً لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لمّا رأى نفسه فى الزجل أنجب اقتصر عليه وقد وقعت له العجائب ـ على ذمة المؤرخين ـ في هذا الشأن ومن أعجبها قوله في الزجل المشهور[5] .

ورذاذ ان دق ينزل وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهّب
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجي إلينا ثم تستحي وترجع

واذا[6] كانت الازجال قبل مدغليس قد اتصلت بالتوشيح والغناء فقد وصلها مدغلّس بالقصيدة العربية فظهر على يديه او اقترن باسمه نوع جديد من الزجل هو القصيدة الزجلية التي شغلت فيما بعد مكاناً كبيراً من انتاج اللغة العامية . وقد عرضنا لردّ الدكتور[7] احسان عباس على الحلّي حينما اعتبر قصائد مدغليس الثلاثة عشر من الزجل

(١) الزجل في الاندلس ص ١٠٦
(٢) قصة الادب في الاندلس ص ١٥٣
(٣) الادب الاندلسى ص ١٢٨
(٤) قصة الادب في الاندلس ص ١٥٣ .
(٥) اعمال مهرجان ابن خلدون ص ٤٨٥
(٦) الزجل في الاندلس ص ١٠٧
(٧) تاريخ الادب الاندلسى ص ٢٥٣

وسماها احسان عباس شعرا ملحوناً . ولم يقم مدغليس بهذا وحده وانما[٨] اراد ان يدخل أساليب البلاغة او الصنعة التي شغف بها الشعراء منذ عصر أبي تمام فأخذ في ازجاله بكثير من الحجاج العقلي ومن التقابل اللفظي والمطابقة بين المعاني ويميل الى ما يسمى في البلاغة بحسن التعليل . وقصائد مدغليس الزجلية اكثرها أو كلها في المديح مع ما يسبق المديح من مقدّمات غزلية وهو واحد منها يقيم بينه وبين النسيم مناقشة يقول فيها :[٩]

لقد أقبلت يا نسيم السحر
بروائح قد بوّرت للمسوك
توقد انفاسك الذكية شمع
في قلوبنا متى ما يستنشقوك

ومنها :

انما حقاً لش وصلت ضعيف
قال لي دار ما دار لك إذ ودّعوك
لما جالي الفراق وودّعتهم
لبّسوني النحول كما لبسوك
ذكر الله من قد ذكرت بخير
كذا يَضّا سمعتهم يذكروك

وممدوحوه من طبقة اجتماعية أعلى من ممدوحي ابن قزمان نعرف منهم امراء موحدين كأبي يحي وابي سعيد وأبي زيد في غرناطة وابي عبدالله في مرسية ونعرف منهم قائداً هو أبو[١٠] عبدالله محمد بن صناديد ووزيرا هو ابو الحسن بن عياش وقد اشتهر مدغليس بتونس كثيراً .

---

(٨) الزجل في الاندلس ص ١٠٧
(٩) نفس المصدر ص ١٠٩
(١٠) اختصار القدح المعلى ابن سعيد ص ١٤٣ القاهرة ١٩٥٩
(١١) ظهر الاسلام احمد امين جـ٣ ص ١٩٤ مصر

والقصائد [١٢] الزجلية أصبحت فيما بعد قالباً لشعر الملاحم العامية وللشعر القصصي في كثير من اجزاء العالم العربي وهي عند مدغليس لا تزال من عمل رجل مثقف اراد بها ان تحل لدى الطبقة المثقفة محلاً قريب الشبه بالقصائد .

مختاران زجليـــة

قال اللوشي يمدح السلطان ابن الاحمر[١٣] .

طل الصباح قم يا نديمي نشربو ... ونضحكو من بعد ما نطربـــو
سبيكة الفجر أحكت شـــفق ... في ميلق الليـل فقم قلّبـــو
ترى عيارها خالص أبيض نقـــي ... فضة هو لكن الشـــفق ذهّبوا
فتنتفـق سكتوا عنـد البشـر ... نور الجفون من نورها يكسبـو
فهو النهار يا صـــاحبي للمعاش ... عيش الغني فيه بالله ما أطيبـــو
والليل أيضاً للقبـل والعنـــاق ... على سرير الوصـــل يتقلبـــو
جاد الزمان من بعد ما كان بخيل ... ولش ليفلت من يديـه عقربـــو
كما جرع مرو فما قـــد مضى ... يشرب بيننو وياكل طيبـــو
قال الرقيب يا أدبـــا إيش ذا ... في الشرب والعشق تر ننجبـــو
وتعجبوا عـــذالي من ذا الخبـر ... فقلت يا قـــوم من ذا تتعجبوا
نعشق مليح إلا رقيق الطبـــاع ... علاش تكفـــروا بالله او تكتبوا
ليش يربح الحسن إلا شاعر أديب ... يفض بكرو ويـــدع ثيّبـــو
أما الكاس فحرام نعم هو حـرام ... على الذي ما يدري كيف يشربو
ويد الذي يحســـن حسابه ولم ... يقدر بحسن الفاظ أن يجلبـــوا
وأهل العقل والفـــكر والمجون ... يغفر ذنوبهم لهـــذا إن أذنبوا
ظبي بهي فيهـــا يطغـي الجمـر ... وقلبي في جمر الغضا يلهبـــو
غزال بهي ينظر قلوب الأســـود ... وبالوهم قبـــل النظـر يذهبوا
ثم يحييهم إذا ابتسم يضحكـــوا ... ويفرحوا من بعـــدما يندبـــوا

(١٢) الزجل في الاندلس ص ١١١
(١٣) المقدمة ابن خلدون ص ١١٥٨-١١٦٠

فميم كالخاتم وثغر نقي ... خطيب الأمّة للقبل يخطبو
جوهر ومرجان أي عقد يافلان ... قد صفّفه الناظم ولم يثقبو
وشارب أخضر يريد لاش يريد ... من شبهه بالمسك قد عيّبو
يسيل دلال مثل جناح الغراب ... ليالي هجري منه يستغربوا
على بدن أبيض بلون الحليب ... ما قط راعي للغنم يحلبوا
وزوج هندات ما علمت قبلها ... ديك الصلا يا ريت ما أصلبو
تحت العكاكن منها خصر رقيق ... من رقتو يخفي إذا تطلبو
ارق هو من ديني فيما تقول ... جديد عتبك حق ما اكذبو
أي دين بقالي معاك وأي عقل ... من يتبعك من ذا وذا تسلبوا
تحمل ارداف ثقال كالرقيب ... حين ينظر العاشق وحين يرقبو
ان لم ينفس عذر أو ينقشع ... في طرف ديسا والبشر تطلبو
يصير إليك المكان حين تجي ... وحين تغيب ترجع في عيني تبو
محاسنك مثل خصال الأمير ... أو الرمل من هو الذي يحسبو
عماد الامصار وفصيح العرب ... من فصاحة لفظه يتقرّبو
بحمل العلم انفرد والعمل ... ومع بديع الشعر ما اكتبو
ففي الصدور في الرمح ما أطعنه ... وفي الرقاب بالسيف ما اضربو
من السماء يحسد في اربع صفات ... فمن يعدّ قلبي أو يحسبو
الشمس نورو والقمر همتو ... والغيث جودو والنجوم منصبو
يركب جواد الجود ويطلق عنان ... الأغنيا والجند حين يركبوا
من خلعتو يلبس كل يوم بطيب ... منه بنات المعالي تطيبوا
نعمتو تظهر على كل من يحييه ... قاصد ووارد قط ما خيبوا
قد أظهر الحق وكان في حجاب ... لاش يقدر الباطل بعد ما يحجبو
وقد بنى بالسر ركن التّقي ... من بعد ما كان الزمان خرّبو
تخاف حين تلقاه كما ترتجيه ... فمع سماحة وجهو ما أسيبو
يلقى الحروب ضاحكاً وهي عابسة ... غلاب هو لاشي في الدنيا يغلبو

قال مدغليس من بحر الرمل واحد وثلاثون بيتاً منها(١٤) :

(١٤) العاطل الحالي ص ١٩

الهوى حَمَّلْني مالا يُحتَمَل ترد الحقْ لَس لمن يهوى عَقَلْ
لَسْ تقعْ في مثلها ما دمْتْ حَيْ إن حماني من ذا تأخير الأَجَلْ
خُذْ تقل لك إِشْ جرى لي يا فلان وترى اني صبورْ نعمه جَزَلْ
اشتغلْ قلبي بذا العشقِ زمان فَسَقَطْ لي نُقطة العينْ واشتعل
وتحيَّرْ بالذي لَس يَنطفي ونرى عيني تبكي بالقُلَلْ
لَقَد اخذلني جمالْ هذا المليحْ ولكنْ مَعذور انا هو يَنخَذلْ
الحلاوه والعقل والانسباك والبراعة والنداره والشكَلْ

ومنها :

لا مليحْ إلا الذي نَعشَقْ انا ولا قائد إلا ذا المولى الأجَل
أب عبدالله الذي أسَّسْ لُوجاه بن صناديد تبنَّا واحتفل
ولوهمّه قد عَلَت فوق الهَمم فهو لا يرضى الثريا عن نَعَل
الرفيع الماجد الحرّ الشريف الشجاع الفارس الليث البطل
وجهُه البدرُ وأيام السرور وإِدَيه الرزقُ والسيفَ الأجل
لثلاث اشياء هو كفو اليمين للعطايا والمنايا والقُبَل

وله قصيدة في المديد واحد واربعون بيتاً منها(١٥) :

قولو عني للذي لم تسلم إن قلبي عنها سالم مسلم
الذهب أنسي وللفضة نعشق وعلى هول الجميعه تقدم
وفي اكبادي ألم من فراقهم وجراح لس بالله ينفعها مرهم
قيل لي طبك في ذا البلد ينسان قد وجدت الراحا إياك لا تهتم
الله قد أنعم علينا بسيد ما طلب لو قط شي إلا انعم
ورث الجود عن صميم الخلافة يحكم الدنيا وفي مالو يحكم
كف ابو يحي قد أحيا المكارم أبداً مبسوط هو لس يدري ينضم

ومن قصيدة له في بحر الرمل تسعة عشر بيتاً(١٦) :

---

(١٥) العاطل الحالي ص ٢٢ .
(١٦) العاطل الحالي ص ٢٣
● كان تحلف :
● لش : لس :
● لس : ليس : والنبي

آنا تايب من هـــوا يا مسلمين ... ربّي يجعل قلبي في يـــد أمين
قد رجع قلبي خزانه للهمـــوم ... كل أحد فارح ونا نمشي مهـين
وعمل لي ذا الهوى جسماً ضعيف ... ثم ركب لي عليه هجـراً سمين
وكنحلف ان لا نعشق أبداً ... لولا ما نخشى بشرين اليمين
لش لي تنكر مذ عشقت اربع شهور ... ولي مهجور ربما سبع سنين
وتريـد الحق إن دمتوا كذى ... لس وحق النسب نطلع في عوين
لس لنا إلا نخلي ذا الفضـول ... اش نرى منو لهول العاشـقين
نمـدح آنسّ أمير الأمـرا ... ولد العـادل أمير المؤمنين
فانت في الارض تحارب لعدوك ... والفلك يخـدمك والله المعين

وله قصيدة في بحر الخنيف تسعة وثلاثون بيتاً منها(١٧) :

يفضح العشق أش يفدني الجحود ... والدموع والنحول عليا شـهود
وشهودا اخـر عليّ بـذا ... سهري الليـل وقلبي الموقود
والمليحة تغلق لي باب الوصـال ... ثم تفتح لي ألف بـاب للصدود
اخذت قلبي منذ اليـوم زمان ... خمس أشهر يذيبو ورد الخـدود
وهو يقنع من الوصال بالقليـل ... والقناعة هي المَـلْ الممـدود

وله قصيدة في بحر المديد واحد واربعون بيتاً منها(١٨) :

الله يدري مـا بقلبي وبيـه ... لقد اتحكم هـذا العشق فيـه
بعوينات كحلـت بالوقاحـة ... على خدينا حمر مستحيـه
وفميمه حلـوا حمرا صـغيرة ... بضريسات دق بيض مستويـة
على عنقاً سبط مصقول مخلخـل ... كان يشيع للغزال عن هديـة
تسع اعشار الملاحة عطيهـا ... وقسم بين المـلاح البقيـة
فضل من الكمال قد اخجل لساني ... وملـك قلبي وقيـد ايديـه

● لنا زيادة من الناشر :
يقصد على الارجح يا نفس
(١٧) العاطل الحالي ص ٢٥
المـل : المـال
(١٨) العاطل الحالي ص ٢٢

قال ابن قزمان في الجياني على لسان الوشكي فاعلن مفعولن [١٩]:

الله يـــدري همي الـــذي أبـــلاني
وأش تريد من حـال من يعشـــق الجيـــاني

* * *

لم يكن قط عاشـــق فينيـــب للعشـــاق
فرخ هـــو ليس يفهم ألحمـــام الحـــلاق
ما نذوق من عشقـــو ليت بحالو لـــو ذاق
ومثـــل ما نهـواه لو رجـــع يهواني

* * *

الرقـــاد خـــدمني والســـهر علمنـــي
ويطقطـــق قلبـــي كلمـــا يذكـــرني
ذا المليـــح العينـين أش قـــدر يظلمني
صـــحتي جردنـــي والضنـــا اكســـاني

* * *

قلت لـــو اذ طفف يا حبيـــب اي يكفاك
يا علـَي من سـَلـْطنك يا علـَي مـــن ولاك
قلي مـــا ادراك ات بالحـــديث ما أدراك
الجمـال سلطنـــي والصبا ولانـــي

* * *

يا من ابهـــت خدو كل بـــدر كامل
والذي من جيـــان سحرو لامن بابـــل
قد فزع من جســـمي كل جسـم ناحـل
وبهت من ضـــعفي كـــل طـــرف راني

* * *

والله انـي مطبـوع ولســـاني فايـــق
واش هو في ذا الممدوح من كـــلام رايـــق

---

(١٩) العاطل الحالي ص ١٨٦

لس أنا فيه عاشـــق غيري هو العاشـــق
الضمير هو الوشـكي واللســـان قزماني

وقال : مستفعلن مستفعلن(٢٠)

ارفـدْ يا قلبي للهجـرْ وذا الهجـرْ ما أفظعـو
اذا اجفـاك مـن تعشقـو
إيـاك بوجهـك ترهقـو
واصبـر لو حتـى تلحقـو
واجرع من الهوى صبر واحمـل لدلوو واكرعو
بحـر الهـوى بحـر عظيم
حصـلت منو فـي جحيم
نجينـي منـو يا حليـم
كم لي نعوم في ذا البحـر ولم نطيق ان نقطعـو
وزاد قلبـي داب لهيـب
حبي مسـافر عن قـريب
ونبقـى في البلـدة غـريب
فـان ثبت هـذا الخبر لس بد لـي ان تتبعـو
انـا نفـكر في القطوع
وفي السـهر وفـي الولوع
وعيني تبـكي بالدمـوع
وقلبي داخل في الصـدر يصيح نمور نمـور معو
لمـا رأيـت الانقطـاع
ودعتو والدمعْ نُقـاع
وصحتْ مـن جـور الوداع
ما اصنعَبْ عليَّ ذا السفَر روّعنـي يا الله روعـو

---

(٢٠) العاطل الحالي ص ١٩٢ ـ ١٩٣

ولأبن قزمان أيضا[٢١] :

وصلٍ مسافر وصدود مقيم متى نفيقْ من ذا العذاب الاليمْ
لَسْ بالله ندري كيف خلاّني حي
عينٍ مزوقْ للشهوله شْـوىْ
وخدٍّ أبيض قـد جمع كلّ زيْ
وماعو زايـد للنكال يا حليم فْمَيمَه حلوه هي بحال دورميم
ولو رأيت اذ يبتسـم ذا الغـزال
كان ترى بالله كل سـحرٍ حلال
درر ومرجان ولعـاب كالزلال
ذا اللعاب هو للعليل والسقيم أحلا وانفعْ من شراب الحكيم
غضبْ حبيب قلبي وعـادى زمان
من اجل ماقيل لو يجيئـك فلان
لَسْ بُدْ تقلوا ان لقيتو عيـان
صورة هلال عينين غزال عنق ريمْ ان كان نحبّك أش في ذا من عظيم
يا مـن يلمني في هوى ذا المليـح
يقوم في بالك أن نداعك تصيـح
ان كان ثَبَت عندك عواجي صحيح
فدعني نمشي على عين واوجيم اعوجْ هو عندي ان نكون مستقيم

وقال[٢٢] :

ودعتْ محبوبي عنـد السفر فكل شيء قد جـا غير الصبر
لمـا مضيت ماعو وقتْ ركَب
لم يبق لي سـاقين ولا رُكَبْ
لقيت من بعـدو ملقى صعب
بحـال من يجلس على الجَمَر

---

(٢١) العاطل الحالي ص ١٩٣ ـ ١٩٤
(٢٢) العاطل الحالي ص ١٩٦

* * *

من حين رحـــل عني من ذا البلدْ
يفورْ يفورْ جسمي ويتقلّـــدْ
ولَسْ نرى والله بعـدو أحـــدْ
الدنيـا في عيني بحـال قفـــرْ

* * *

من لم يكن عاشـــقْ لا ننظرو
عدو همجْ في النـــاس واحقرو
لان ثم اقوام قـــد صورو
صورْ بني آدم وهم بَقَـــر

* * *

لَكْ يا صديق نوصي خُذْ لَكْ حبيب
إقطعْ معو عمرك واشـربْ وطيب
وان حدّ نَعَرْ للبابْ لا تستجيب
لَسْ لك من الداخل غير الضـــرر

* * *

واشـــكر المعشوق وزيدو كاس
وانْ رقـــد إحكي ابو نواس
وازحف كزحف الناس الى التراس
واجعـــلْ بطن ملصوق الى ظهر

* * *

ومن قولـه(٢٣) :

شـــريبه عنـــدي أجود مـــن الملـــك المخلد
دعوني مـع شـــــرابي
وعـــرّوني ثيـــــابي

(٢٣) العاطل الحالي ص ٢٠٣

وكفّـوا عن عتـــــابي
وخلّـــوني مجـــــرّد

ومن اجود ازجاله التي تدل عليـه هـذا الزجل اصله مستفعلن فاعلن مفعول(٢٤) :

يا قلبِ وَشْ بيك من التجني ... متى أنا نطلب الصـــلاح
حُرْماني ذاك الذي هجرني ... منو تطـــير أنتَ بالجناح
عاشـق انا والنبي في حبي ... وفي الشـراب الرقيق وباسْ
مثل النبات الضعيف هو قلبي ... يوم لا نسقيه نخـاف يباس
فان عـــين الخشف المربي ... لم يبق فيا ســوى النفاس
تقتلني عينيـــه ان نظرني ... ما بين جـــدو الى المـزاحْ
رأتْ في قتل الجراح تأتي ... فاستعملت موت بلا جـراح

* * *

تفني زمـاني على احتيـاري ... ونعشق الشـربْ بإجتهـادْ
لم نُخلِ نقر الوتر في ذاري ... حتى يميل راسي للوســادْ
وحد المؤذن سكنْ جواري ... شيخٍ مصلي خير العبـاد
اذا طلع في السـحر يعظني ... وقال حيا على الفـلاح
يبدّل العود كلامو في اذني ... حيـا على قصف واصطباح

* * *

معذور انا نعشـق الخلاعه ... كم قط خليـع ينقصو ذهب
وذا الخلاعة وذا الرقاعـة ... يُجَـدْ في زجلي كما يجبْ
وماعٍ من ذا الغنى صناعـه ... اذا سمعها الـكريم وهبْ
فمـن لا يعطيني اذ نغني ... يعطي لازجـالي المـلاحْ
مثل النوار الـكريم في ظني ... اذا ما هزو النسـيم يفـاح

* * *

أنا هو شيخ الخلاعه وحدي ... نسـهر اذا نامت العيون
نهاري مع ليلي كان بودي ... ليس نُخلا من شرب اومجون

(٢٤) العاطل الحالي ص ١٩٠ ـ ١٩١

ليلي يكون القطيع في يدي — لس ندري النوم اش يكون
وليلة العطل افتقدني — اذا طلع كوكب الصباح
لا شك فوق الغصون تجدني — نعلم القمري النواح

* * *

تم الزجيل وجا مليح — يحلي الغاني فمو بيه
احسن من احسن واملح من املح — لس لو في اشكالو من شبيه
وجا عروض هاذاك الموشح — الذي قال الاديب فيه :
« الى متى الحب يتبعني — افنيت عمري على الملاح
مر الهوى مرور عني — لعل ّ نرقد ونستراح »

ومن تتف ازجاله قوله[٢٥] :

سكن في قلبي من سكن — نعشق ولا ندري لمن

نشق مليح مثل القمر
يجرح بعينيه للنّظر
بشعر أسود كالقدر
ووجهٍ ابيض كاللبن

وقوله :

لَسْ ياكثير التجني — اخلفتَ ظني
قال الحسود المقيت
اني ذمامك نسيت
واني غيرك هويت
لس هو في حل مني — من قال عني

ولمدغليس[٢٦] :

واحد فى قلبي سكن — لس ندري منْ
الحق تريد لم يبق دين
ثم محتسب او ثم امين

(٢٥) العاطل الحالي ص ٢٠٢
(٢٦) العاطل الحالي ص ٢٠٧

تسكن قلوب المسلمين بلا إذنْ
تْرى أي خائض وي نكد
نراه لقلبي صار بعد
يسكن كذا فيه كل حد بلا ثمنْ
الوحدة ماذا لس بشي
قد ماعي في صدري صبي
مليح خفيف الروح حُلي في كل فن
هذا المعيشق الجديد
ماعو صدر كما تريد
قد اختلط فيه العقيد مع اللبن
وماعو فوق ذاك الصدر
عنيقه تفتن للبشر
قد ركبت ما بين ثمر وبين غصنْ
هذا الزجيّل ما ارقعو
يتسلى بيه من يسمعو
ولا سما ان كان معو طَنْ طنّ طنْ

وقال من ابيات زجل[٢٧] :

ترضى أن تقتلني عينيك وماء الحياة من فمك
من يذوق ذيك الشفيفات لس يرى للموت امارة

* * *

بالشراب مزّج لعابك منهاجا لذيذ وفايح
وانبت الصبا في صدرك في عوض نهود تفافح
ففي فمك الشريبه وفي صدرك التمالح
منها هو قدّك منعّم وعويناتك سكاره

---

(٢٧) العاطل الحالي ص ٢٠٩

ولمدغليس أيضا[٢٨] :

قد رحلت أنـــا وقلبي ... ايش يكون مني ومنـــو
ولا يشـــــفقو عليّ ... ذا الملاح ولا يحنـــو
قـد قســمت أنا وقلبي ... الهوى بـــلا منـــاعس
فخرجت انا للافكـــار ... وخرج هو للوســـاوس
فهو كل حد في راحـــه ... ونحن في حـــرب داحس
نضربو اخماس فى اسـداس ... من حساب لـــم نظنـو
ماعو من نعشق عوينـــات ... سحر بابل معها قـد بـــار
وعنيقـــه خلقهـــا الله ... كل حـد فيها قـد حـار
قوم يقولو عنها فضـــه ... واخـــر يقولو بـــلاّر
واخر يقولو من عـــاج ... كل حَـدْ يجي بفنـــو
ومعو فـــمٍ صغـــير ... عقول البريـه يســـبي
بلعاب افواح من البـــان ... في حصـــا جوهر مربي

ومنها :

ان حبيتـو يا مقـــاتل ... فنحبّو لاربـع اشـــيا
لملاحتـــــو وعقـــلو ... ووفـــاه وصغـر سـنو
من يـراك ولا يحبـــك ... انما يحســـب في الأموات
قـــر من انت يا بني كلك ... من ديبـاج ومن تويبـات
الكبيبـــة والجبيبـــه ... والفميمـة والحـــذيدات
هذا هو الموت الاحمـــر ... الذ ســـمعت عنـــو

ومن ابدع ازجاله[٢٩] :

مَضَاتَ فيّـا وَحدَ الصَّبيَّه
بوجنتـين مـلاح مضيَّـــــه
تحميهـــا اجفـــان بابليَّـــه
الموت من الحاظهـا معلـــق

---

(٢٨) العاطل الحالي ص ٢٠٥
(٢٩) العاطل الحالي ص ٢٠٤

وللششتري وهو زجل صوفي (٣٠) :

قد لاح لِيّا مني ... سِرّ بدا عجيب
حتى رأيت اني ... عن حضرتي لا نغيب
انا ما زلت حاضر ... حاضر في كل حين
عيني إليا ناظر ... ناظر طول السنين
والحق فيا ظاهر ... ظاهر لذي يقين
من قال أنا واني ... قد اوفى بالمغيب
ان قيل هذا عني ... قد أُحرم النصيب
من هو يا قوم ولدي ... ولدي يا قوم انا
او تَدْرو من هو جدي ... جدي سبقتو انا
انا ما زلت وحدي ... وحدي ما زلت انا
ومن حكم بعيني ... أخطأ ولم يصيب
قلّوا اليك عني ... ما أنت لي نسيب
يا من يراني شفعا ... الشفع بي ظهر
ردّ الوجود جمعا ... فالفرق في الصور
واحكم بهذا قطعا ... أنا ما لي أُخر
ملأتُ كل أينِ ... ولم نزل مجيب
لكل من هو مَدْني ... من حضرتي قريب

(٣٠) ديون الششتري ص ٩٣

الادب البطليوسى

فى عصر الدولة الأفطسية

بطليوس

بَطَلْيوس[1] (بفتحتين وسكون اللام وياء مضمومة وسين مهملة) مدينة كبيرة بالاندلس من اعمال ماردة على نهر آنه غربي قرطبة ، وتبعد[2] عن قرطبة على الجادة بحوالي ستة مراحل وتبلغ[3] مساحتها ٨ر٦٨٧ ميل مربع وسطحها غير مستو يتخلله سلاسل جبلية تكثر فيه الغابات وهي[4] معروفة ايضا باسم بداجوز ويغلط من يقول انه اشتق من اسم باكس المستعمرة الرومانية وانما اشتق من اسم المدينة البرتغالية او بالعربية باجة المشتق من باكم اما انه مشتق من باديا وهو ما ذهب اليه كل من فالريوس ماكسيموس وفلوطرخس فمشكوك فيه ولا يمكن التثبت منه . وكانت بطليوس فى ايام العرب من مدن الاندلس المشهورة قالوا هي مدينة جليلة عظيمة في بسيط من الارض مخضر ويقول بعضهم فيها[5] :

بطليوس ما انساك ما اتصل البعد ... فلله غور من جنابك او نجد
ولله دوحات تحفك بينها ... تفجر واديها كما شقق البرد

وكان تغلب[6] المسلمين عليها في زمن تغلّبهم على الاندلس ودخلت في حوزة خلفاء قرطبة الامويين سنة ٢٦٢هـ بعد حرب جرت بين عبد الرحمن بن مروان ومحمد الاول صاحب قرطبة وكانت حينئذ غير مسورة . وسنة ١٩٣٤ م نازلها الافرنج فانكسروا ولما وقعت الفتنة في بلاد الاندلس في اوائل القرن الحادي عشر وانقسمت ولايتها استبد

---

(١) معجم البلدان ياقوت الحموي ج ٢ ص ٢١٧ ط السعادة القاهرة ١٩٠٦
(٢) صورة الارض ابن حوقل ص ١١١ بيروت
(٣) دائرة المعارف البستاني ج ٥ ص٤٨٥ ـ ١٨٨٠
(٤) دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٦٧٦
(٥) دائرة المعارف البستاني ج ٥ ص ٤٨٥
(٦) دائرة المعارف البستاني ج ٥ ص ٤٨٥

بها سابور الفتى العامري ثم دخلت في ولاية ابن الافطس وبقيت بيد سلالة بني الافطس الى سنة ١٠٩٤م فحينئذ استولى عليها قائد امير المسلمين يوسف بن ثاشفين وكان في سنة ١٢٢٧ اخذها صاحب لاون وخربها ولم تزل في يد انتصارى .

وقد نسب اليها كتاب كثيرون[٧] منهم عبدالله بن محمد ابن السيد البطليوسي امام في اللغة والادب وصف بانه كان[٨] متبحرا فيها ولكنه ترك بطليوس مبكراوسكن بلنسيه وسنتعرض لبعض رجالهامترجمين لهم .

(٧) بغية الملتمس الضبي ص ٣٢٤
(٨) شذرات الذهب جـ ٤ ص ٦٥

التاريخ السياسي للدولة

الافطسية

حينما تتعرض لموضوع ادبي يجب علينا قبل بحثه أن نفهم الظرف السياسي الذي نشأت فيه اداب تلك الدولة وعلى الاخص حينما نعلم ان العلاقة قوية بين السياسة والادب او بين الحكام وطريقةحكمهم والادباء وادبهم مع ملاحظة قوة هذه العلاقة في المدح والهجاء وما شاكل ذلك.

ملك بطليوس عند الفتنة واهتياجها وحـــدوث دول الطوائف ابو محمد[1] عبدالله بن مسلمة التجيبي المعروف بابن الافطس واستبد بها سنة احدى وستين واربعمائة وهلك وولي من بعده ابنه المظفر ابو بكر واستفحل ملكه وكان من اعاظم ملوك الطوائف، وكان[2] بينـــه وبين ابن ذي النون حروب مذكورة ومع ابن عباد . ويقال ان اول من استبد بأمر بطليوس مولى[3] فارسي الاصل يسمى سابور توفي ســنة ٤١٣هـ وكان رجلا أميا قام بأمر دولته ابن سلمة مؤسس دولـــة بني الافطس ، وقد تلقب سابور[4] بالمنصور واصل ابن الافطس المذكور من بربر مكناسة لكن ولد ابوه بالاندلس .

وجاء[5] ان يحي بن المظفر قد لقب بالمنصور ايضا ولا ندري هل اختلطت الاسماء او كلاهما لقب بنفس اللقب ، وبعد ان مات المظفر بن الافطس سنة ٤٦١ خلفه ولده يحي وما كان المنصور ــ يحي ــ ليبـــدأ حكمه حتى ثار به أخوه عمر وكان يرى نفسه احكم منه بالملك والحكم وكان عند وفاة والده المظفر حاكما لمدينة بابرة وما اليها فنهض لمناوأة اخيه واستمر النزاع بينهما بضعة اعوام حتى تفاقم ولجأ عمر الى معاونة

(١) تأريخ ابن خلدون جـ ٤ ص ٣٤٤
(٢) الموشحات الاندلسية الدرويش ص ٢٦
(٣) تأريخ الفكر الاندلسي ص ١١٧
(٤) المختصر في اخبار البشر ابو الفداء جـ ١ ص ٤٤ بيروت
(٥) دول الطوائف عبدالله عنان ص ٨٧

المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة واتجه المنصور الى معاونة المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية واضطرمت الفتنة وكادت تدمر كل شيء لولا ان توفي يحي المنصور فجأة سنة ٤٦٤ هـ فخمدت الفتنة ودخل عمر بطليوس وتولى الحكم مكان اخيه دون منازع وتلقب بالمتوكل على الله وندب ابنه العباس حاكما ليابرة وقد حدث[٦] ان يحي ابن ذي النون صاحب طليطله ثار عليه الاعيان ففر من المدينة ناجيا بنفسه وتلاحق به بقية سربه المنفر وقل عسكر المدبر . وأقام اهل طليطله بعده اياما كالسائمة المهملة نام راعيها وأكبت مراعيها وليس لهم أمير وكان عندهم يومئذ ابو محمد يوسف ابن القلامي البطليوسي احد عفاريت الضلال واكل الاموال نبهت تلك الفتنة على قدره ورفع عدم الرجالة صوته بذكره فعرض عليهم بصاحبه المتوكل عمرو بن المظفر بن الافطس واعرب لهم عن لين مكره ووضعه فقالوا برد كبر ما اشبه معد بسعد فأتاه سفيرهم وخف اليه عيرهم ونفيرهم فذهب[٧] الى طليطلة واقام بها يسدد امورها أضل من يد في رحم واذل من لحم على وضم وقد كان ابن ذي النون بعد فراره تهيأ له دخول مدينة قونكه فتماسك أمره بها وعاد الى طليطلة وعاد المتوكل الى بلده وقد حصل من ذخيرة ابن ذي النون ماله وما عثر عليه من اسباب خصره على حظ رغيب . وكان[٨] عمر بن الافطس ممن اعان (سير) على المعتمد فلما فتحت اشبيلية رجع ابن الافطس الى بلده فسار اليه سير وحاربه فغلبه واخذ بلده منه واخذه اسيرا هو وولده الفضل فقتلهما وكان[٩] للمتوكل ولد اخر هو المنصور وكان قد بعثه الى قشتالة فلما علم بما حدث اعتنق النصرانية وفقا لبعض الروايات وبقي هناك .

---

(٦) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ابن بسام ج ١ ص ١٢٣ القاهرة ١٩٤٥ .

(٧) تأريخ اسبانيا الاسلامية ابن الخطيب ص ١٨٠ بيروت ١٩٥٦

(٨) الكامل في التأريخ ابن الاثير ج ١٠ ص ١٩٣ بيروت ١٩٦٦

(٩) دول الطوائف ص ٨٩

الحالة الأدبية

كان[1] المظفر بن الافطس عالما وشجاعا فارسا ولم تشغله[2] الحروب ولا المملكة عن همة الادب فألف كتابا في نحو مائة مجلدا في رواية وفي رواية اخرى[3] في خمسين مجلدا وورد فى مدحه وصفاته انه (كان احرص الناس على جميع علوم الادب خاصة من النحو والشعر ونوادر الاخبار وعيون التاريخ)[4] وجاء في وصفه ايضا (اديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع وله التصنيف الرائق والتأليف الفائق المترجم بالتذكرة والمشتهر اسمه ايضا بكتاب المظفري)[5] وكان المظفر يعكف[6] على التأليف ويتفرغ للتصنيف وكتابه يحتوي على علوم وفنون ومغاز وسير ومثل وخبر وقد ورد عنه انه[7] له رأي في الشعر فريد يستحق التنويه وانه كان ينكر الشعر على قائله في زمانه ويقيل رأي من ارتسم فى ديوانه ويقول : من لم يكن شعره مثل المتنبي او المعري فليسكت. فاذا كان الوالد هذه شغلته والأدب وعلومه همته فكيف يكون الابن الذي تربى على هذا المنهاج ورغب في سلوك هذا الارب ، وهكذا كان المتوكل كما كان ابوه . واما اهم ادباء وشعراء عصره فاضافة اليه فقد كان عبدالمجيد بن عبدون الذي سنفرد له فصلا خاصا ومنهم الوزير الكاتب ابو زيد عبدالرحمن بن مولود الذي نقل ابن سعيد من المسهب عنه انه بنو مولود اعيان مدلين ونجب منهم ابو زيد وعلا الى درجات

---

(١) دائرة معارف الشعب ج ٢ ص ٦٦
(٢) ظهر الاسلام ج ٣ ص ١١
(٣) المعجب في تلخيص اخبار المغرب ص ١٢٧ المراكش القاهرة ١٩٦٣
(٤) المطرب فى اشعار المغرب ابن دحيه ص ٢١ القاهرة ١٩٥٤
(٥) تأريخ الادب الاندلسى احسان عباس ص ٧٢
(٦) الادب العربي في الاندلس خفاجة ص ١٦
(٧) تاريخ الادب الاندلسى ص ٧٢
(٨) المغرب ابن سعيد ج ١ ص ٣٧٢

الوزراء والكتاب عند المتوكل بن الافطس ومن شعره قوله :

ارني يومـــا من الدهر على وفـق الامـــاني
ثم دعني بعـد هـــذا كيفمـا شـئت تراني

ومنهم ذو الوزارتين ابو عبدالله بن أيمن استوزره المتوكل ومن نثره : (ما تحول الا الى اعمالك ولا انتقل الا من يمينك الى شمالك وعنده تذكر لحسن معاهدة وطيب مشاهدة ولا يزال يشكر ســوالف نعمك وينشر مطاوي منزعك الجميلة وهممك)[٩] ومنهم ذو الوزارتين ابو الوليد بن الحضرمي استوزره المتوكل ابن الافطس فداخله عجب وتيه وتجبر مفرط كرهه من اجله اصحاب الدولة فعزله المتوكل ومن شعره قوله[١٠] :

كيف لا اعشق الملاح اذا مـا كان عشق الملاح يحيي السرورا
واحث الكؤوس بين البساتين وادعو هنـــاك بمّا وزيرا ؟

ولا ندري اين نضع ابن السيد البطليوسي فانه ولد في بطليوس ونسب اليها وعاصر المتوكل ولكنا لا نجد اي خبر يربطه بالمتوكل فهو شاعر مداح متفنن في وجوه الصناعة ومن قوله[١١] :

اخو العلم حي خالد بعد موته واوصالـه تحت التراب رميم
وذو الجهـل ميت وهو ماش على الثـــرى
يُظَن من الاحيـــاء وهو عـــديم

وقد كان[١٢] نحوياً لغوياً مشاركاً في انواعٍ من العلوم من تصانيفه الكثيرة الاقتضاب في اللغة وشرح سقط الزند وشرح الموطأ ، وترجع[١٣] شهرته الى شرحه لكتاب ادب الكاتب لابن قتيبة وهو الاقتضاب . وإذا اعتبرنا ابن السيد في دولة المتوكل كان عصر المتـوكل من ازهى

(٩) المغرب جـ ١ ص ٣٦٦
(١٠) المغرب جـ ١ ص ٣٦٥
(١١) تأريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون عمر فروخ ص ٦٠٤
(١٢) معجم المؤلفين كحالة جـ ٦ ص ١٢١
(١٣) دائرة المعارف الاسلامية جـ ٣ ص ٦٧٨

عصور الثقافة الأدبية ولكنه كما قلنا سكن بلنسيه ، ومن مشاهير الادباء في عصر المتوكل أبو بكر بن قزمان الاكبر وسنفرد له فصلاً خاصاً وكذلك بنو القبطرونة وهم أبو محمد وابو بكر وابو الحسن بيت[١٤] الفضل والاحسان والمعاني الحسان فمن احسن اخبارهم ورقيق اشعارهم انهم باتوا ليلة في زمن الربيع بالمنية التي انشأها السلطان المتوكل على الله وسمّاها بالبديع يتعاطون كؤوس الراح ويدور عليهم منها أقداح الافراح الى أن غلبهم النوم وربط على آذانهم فارتفع عنهم اللوم فلما تبلّج وجه الصباح وألبست الشمس معصفراً خلعها فجاج البطاح هبّ كل واحدٍ منهم من نومه منشداً رافعاً عقيرته بالانشاد مغرّداً فقال الوزير الاوحد أبو محمد :[١٥]

يا شقيقي اتى الصباح بيوحه ستر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبح واغتنم مسرّة يومٍ ليس تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ اخوه أبو بكر وقال :

يا أخي قم تَرَ النسيم عليلا باكر الروض والمدام الشمولا
لا تنم واغتنم مسرّة يومٍ إن تحت التراب نوماً طويلا

ثم استيقظ أخوهما ابوالحسن فقال :

يا صاحبيّ ذرا لومي ومعتبتي قم نصطبح خمرة من خيرما ذخروا
وبادرا غفلة الايام واغتنما فاليوم خمر ويبدو في غدٍ خبر

وجاء في وصفهم في القلائد بأنهم (للمجد كالأثافي وما منهم إلا موفور القوادم والخوافي إن ظهروا زهروا وان تجمّعوا تضوّعوا وان نطقوا صدقوا ماؤهم صفو وكل واحد منهم لصاحبه كفو انارت بهم نجوم المعالي وشموسها ودانت لهم ارواحها ونفوسها ولهم النظم الصافي الأجابة المضمحل" العجاجة)[١٦] وقد كتب محمد الى الفتح بن خاقان يقول :

---

(١٤) المطرب من اشعار اهل المغرب ص ١٨٦
(١٥) المغرب جـ ١ ص ٣٦٧
(١٦) قلائد العقيان ص ١٤٨ مصر ١٢٨٤

أبا النصر إن الجدّ لا شك عاثر وان زماناً شاء بينـــك جائر
فلا توّجت من بعد بعـدك راحة براح ولا حنـت عليهـا المزامر
ولا اكتحلت من بعد نأيك مقلـة بنوم ولا ضمّت عليها المحاجـر
ولي رغبة جاءتك وهي مدلّـة تسوق إليك الحمد وهو أزاهـر
لتعلم انى عن جوابـك عاجز ومعتـذر فيه فقـل انا عاذر

وله يخاطب الوزير ابن عبدون :

يا خابط الليل فوق الفـوق ألجوني
مسهـد الجفن يحـدو البين بالبين
يكابـد النوم قـد مالت عمامته
أبلغْ معطـرةً عني ابن عبـدون
مسـكيّة ربعت فى حوملٍ وشـتّت
بالجزع ما بين قيصـوم ونسـرين
وزارت الغور ممطـوراً وسار بهـا
ساري الجنوب على اكتـاف دارين

وراجع ابو محمد أبا الحسن بن الرماد عن قطعة كتبها إليه من السجن وذلك ان اهل اشبونة ثاروا بأبي زكريـا يحي بن تين ابراهيم وأضحوه من ظلالها ورموه بصائبات نبالها وانتزوا على أمير المسلمين فيها وغزوا واصلها وموافيها واوقدوا ناراً بحرها واقاموا حرباً عـاد واغرق ببحرها وكان ابو الحسن بن القبطرونه من أصلبهم فيها عـودا واثقبهم بروقا وأصولهم رعودا فلما انجلى ليلها وتقلّص ذيلهـا وظفر الأمير ببطلهم ومقدامهم وأخذهم بنواحيهم واقدامهم وعاقب على جرأتهم واقدامهم بعثه الأمير الى بطليوس مصفوداً ووجّه إليه من النـكايات وفوداً فكتب الى ابي بكر يستريح من بثّه ويريح نفسه بنفثه فراجعه يقـول :(١٧)

اتتني على رغمي فما شـئت عبرة أرشتْ بهـا عيناي طلّهما وبلْ
ومن زفرة أمسكتها لو بعثتهـا لذاب لها النكدان قيـدك والقفل

(١٧) قلائد العقيان ص ١٥١

تساوَت بناحال وانكنتَ سارحاً فداري بكم سجن ونعلي بكم كبل
عن المجد عاق الحجل رجلك والعلى كما حبست دون المدى السابح الشكل
ولا عجب ان ضمّك السجن انه لعمر العلى غمد" وانت له نصل

ولابي الحسن قوله[١٨] .

ذكرتُ سليمى وحر" الولوعا كجسمي ساعة فارقتها
وأبصرتُ بين القنا قدّها وقد مِلْنَ نحوي فعانقتها

وركب الى سوق الدواب بقرطبة ومعه ابو الحسين ابن سراج فنظر الى ابي الحكم بن حزم غلاماً كما عق تمائمه وهو يروق كأنه زهر فارق كمائمه فسأل ابا الحسين بن سراج ان يقول فأرتجّ عليه فثنى عنان القول اليه فقال :[١٩]

رأى صاحبي عمراً فكلف وصفه وحمّلني من ذاك ما ليس في الطوق
فقلت له عمرو كعمروٍ فقال لي صدقت ولكن ذا اشب عن الطوق

هؤلاء هم اشهر الادباء والشعراء في زمن هذه الدولة وسنحاول أن نأخذ أعظم ممثلين للادب في هذا العصر القصير وهم المتوكل نفسه من حيث كونه اديباً ومشجّعاً للأدب وصورة للادب في عصره وإبن عبدون لارتباطه الاساسي بدولة بني الافطس من حيث كونه كاتباً ووزيراً للمتوكل وابيه ومن ثم كونه كتب واشتهر بقصيدته في رثاء دولتهم وبعد ذلك تتعرض لابن قزمان الاكبر الذي كان كاتباً المتوكل ايضاً .

---

(١٨) نفس المصدر ص ١٥٤
(١٩) قلائد العقيان ص ١٥٤

المتوكل

هو ابو محمد عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن مسلمة التجيبي بن الافطس وجاء انه من النادر الغريب انتماء بني الافطس الى تجيب وقد مدحت عائلتهم بنسبتهم الى تجيب قال ابن شرف القيرواني مادحاً المظفر :[1]

ما ملكاً امست تجيب لـه تحسـد قحطان عليها نزار
لولاك لم تشـرق معدّ بها جـلّ ابو ذرٍ فجلّت غفار

وكان[2] المتوكل قد تولى في عهد اخيه على بعض انحاء بطليوس واخبار دولة بطليوس قليلة جداً واكثر ما ورد عن المتوكل اوصاف أدبية عظيمة نسبت له فيصفه ابن الخطيب بقوله : (وكان المتوكل ملكاً عالي الهمة والقدر مشهور الفضل مثلاً في الجلالة والسر ومن اهل الرأي والحزم والبلاغة)[3] وتصفه دائرة معارف الشعب بانه كان (عالي الهمة مشهور الفضل وكانت له قدم راسخة فى صناعة الشعر والنثر)[4] ويصفه احسان عباس بقوله كان (رحب الجناب للوافدين معروفاً بمهارته هو نفسه في الشعر والنثر لذلك لم تقصر حضرة بطليوس في زمان المظفر وابنه في تشجيع الادب نثراً وشعراً فكان في طليعة رجالها المشهورين بالشعر والنثر)[5] ويبدو أنه كان اضافة الى ادبياته فارساً حتى قال به المراكشي (كان له قدم راسخة في صناعة النظم والنثر مع شجاعة مفرطة وفروسية تامة وكان لا يغب الغزو ولا يشغله

(١) الحلة السيراء ابن الابار جـ ٢ ص ٩٦ القاهرة ١٩٦٣
(٢) القاموس الاسلامي احمد عطية جـ ١ ص ١٤٤ القاهرة ١٩٦٣
(٣) تاريخ اسبانيا الاسلامية ص ١٨٠ بيروت ١٩٥٦
(٤) دائرة معارف الشعب جـ ٢ ص ٦٨
(٥) تاريخ الادب الاندلسي ص ٧٢

عنه شيء)[٦] ثم يصف ايام حكمهم بأنها كانت لهم ايام كلها اعياد ومواسم وكانوا ملجأ لأهل الأدب خلدت فيهم قصائد شادت مآثرهم وابقت على غابر الدهر حميد ذكرهم ويصف الدكتور عبدالله عنان[٧] بلاطه بأنه كان جامعة أدبية اكثر منه قصراً ملوكياً وقد وصفه ابن خاقان معاصره بتلك العبارات الشعرية ملك جند الكتائب والجنود وعقد الالوية والبنود وأمرّ الايام فائتمرت وطافت الامال بكعبته واعتمرت الى لسن وفصاحه ورحب جنان للوافد وساحة ونظم يزري بالدرّ النظيم ونثر يسري في رقة النسيم وايام كأنها من حسنها جمع وليال كان فيها على الانس حضور وتجمع ، ونقلت إلينا التحفة الادبية من نظم المتوكل كما يسميها عنان رواها وزيره ابو طالب ابن غانم قال كتب إليّ المتوكل بهذين البيتين في ورقة كرنب من بعض البساتير : [٨]

إنهض ابا طالب إلينا واسقط سقوط الندى علينا
فنحن عقد بغير وسطى ما لم تكن حاضراً لدينا

وفي[٩] عهد المتوكل على الله تمتعت بطليوس بفترة من السلام والامن والرخاء وسطع بلاطها في ظل اميرها الحكيم العالم ، وكان[١٠] يناظر المعتمد المتوكل ابن الافطس وكان في حضرة بطليوس كالمعتمد بأشبيلية يتردد أهل الفضائل بينهما كتردد النواسم بين جنتين وينظر منهما عن مقلتين والمعتمد أشعر والمتوكل اكتب ، وقد بنى[١١] المتوكل المباني الطيبة والمصانع الجليلة كما أقام فيها البديع خارج بطليوس على نهرها العظيم وهو روض كان المتوكل يكلف بموافاته .

وهكذا لا نستطيع ان نحكم حكماً قاطعاً على المتوكل من حيث

---

(٦) المعجب ص ١٢٧
(٧) دول الطوائف ص ٨٧
(٨) نفح الطيب ج ٥ ص ٢٨٩ بيروت
(٩) دول الطوائف ص ٨٨
(١٠) تاريخ اداب العرب الرافعي ج ٣ ص ٢٩٥ القاهرة ١٩٤٠
(١١) دائرة معارف الشعب ج ٥ ص ٦٨

كونه كاتباً او شاعراً إذ أنه لم يصلنا من شعره إلا هذان البيتان ولم أجد له في كل هذه الكتب التي راجعتها غيرها شعراً . وهناك نبذة من رسالته في قلائد العقيان يرد على وزيره الحضرمي ومبدؤها (لا يا سيدي واكرم عددي الشاكي ما جنته يده لا يدي)[١٢] وليس هناك ميزة مادية يمكنها ان تهدينا الى تقويم الحكم على المتوكل وكل ما عندنا هي هذه الاخبار والاحكام القديمة النقدية وان كان لنا ان نبدي رأياً (فليس من الصحّة بمكان ان تتجاسر فى الحكم استنتاجاً من احكام اخرى) فهو ان نضع المتوكل كملك شجّع الادب لا كأديب رغم كل الاخبار التي وردتنا عنه وعن ادبه وهذا الحكم اقرب الى الصحّة من افتراض الصحة في كونه اديباً بلا أدب وشاعراً بلا شعر وسيمثل لنا ابن عبدون صورة عصره ويعطينا انطباعاً عن الادب أوضح فى عصره .

(١٢) قلائد العقيان ص ٤١

ابن عبدون

هو[1] عبدالمجيد بن عبدالله ابن عبد ربه الفهري من اهل يابرة يكنى ابا محمد وورد أنه[2] عبدالمجيد بن عبدالله بن عبدون[3] شاعر اندلسي من يابرة استرعى منذ حداثته انظار أمير يابرة عمر المتوكل بن الافطس بما كان له من مواهب شعرية ولما ولي هذا الأمير حكم بطليوس اصبح ابن عبدون كاتب سره عام ٤٧٣هـ واضافة الى كونه شاعراً فقد[4] كان كاتباً مترسلاً عالماً بالخبر والأثر ومعاني الحديث أخذ الناس عنه وله مصنف في الانتصار لأبي عبيد على ابن قتيبة ، وورد في نسبته انه [5] ابو محمد بن عبدون اليابرى ولم أجد رواية أخرى بهذه النسبة . ولما سقطت[6] دولة بني الافطس عام ٤٨٥هـ او ٤٨٦هـ اضطر ابن عبدون الى الالتحاق بخدمة سير بن ابي بكر أمير جيوش المرابطين وتجده بعد ذلك عام ٥٠٠هـ كاتب سر بلاط علي بن يوسف المرابطي وتوفي ابن عبدون في مسقط رأسه يابرة عام ٥٢٩هـ وقيل ٥٢٠هـ وقيل ٥٢٧هـ وقد لقب بذي الوزارتين .

لقد[7] عاش ابن عبدون في بلاط المتوكل في بطليوس وكان من اكبر شخصيات هذه الدولة وصار حاجباً ورفيقاً للمتوكل فقد عاش[8] إذن في ازهى عصور الادب وعاش اذكى ملوك الطوائف واعلمهم باللغة والادب والتأريخ وناهيك بمن يكون في حضرة هؤلاء — بنو الافطس

---

(١) الصلة ابن بشكوال جـ ١ ص ٣٨٨ مصر ١٩٦٦
(٢) الاعلام الزركلي جـ ٤ ص ٢٩٣
(٣) دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ٢٢٥
(٤) فوات الوفيات الكتبي جـ ٢ ص ١٩ القاهرة ١٩٥١
(٥) المغرب جـ ١ ص ٣٧٤
(٦) دائرة المعارف الاسلامية جـ ١ ص ٢٢٦
(٧) تأريخ الفكر الاندلسي ص ١١٨

ـ ويكتب لهم وهم العلماء والشعراء وقد قالوا عنه[٩] انه كان اعجوبة في النظم والنثر من كبار حفاظ اللغة والادب في وقته ورووا عنه انه اديب الاندلس وامامها وسيدها في عالم الاداب وان أيسر محفوظاته (الاغاني) (وسترد الرواية في اخباره) ومهما بالغوا في نسبة هذا إليه فذلك يدلّ على مقدار معلوماته وقوّة ذاكرته وقد وصفه ابن خاقان بقوله (منتمى الاعيان ، ومنتهى البيان ، المطاول لسحبان والمقارع لصعصعة بن صوحان الذي اطلع الكلام زاهرا ونزع فيه منزعاً باهراً نخبة العلاء وبقية اهل الأملاء الشامخ الرتبة العالي الهضبة فاق الافراد والافذاذ ومشى في طريق الابداع والوخد والاغذاذ).[١٠] ومن اخباره انه كان[١١] بين يدي مؤدبه وسنه إذاك ثلاث عشرة سنة فعنّ للمؤدب أن قال (الشعر خطة خسف) وجعل يردد هذا القول فقال الوزير ابن عبدون فكتبت في لوحي مجيزاً له (لكل طالب عرف) ثم خطر لي بيت ثان هو :

للشيخ عيبة عيب وللفتى ظرف ظرف

قال فنظر إلي المؤدب وقال : يا عبدالمجيد ما الذي تكتب فأريته اللوح فلما رآه لطمني وعرك اذني وقال لا تشتغل بهذا وكتب البيتين عنده . ومن خبر[١٢] عن ذكائه وحفظه ما رواه الوزير ابو بكر محمد بن عبدالملك بن زهر وتقول الرواية ما مختصره أن ابن عبدون يأتي ليسأل عن الوزير عبدالملك بن زهر فيجد ابن عبدالملك ومؤدبه وقد نسي المؤدب في بيته كتاب الاغاني الذي كان يستنسخه لأبي بكر فيردّ ابن عبدون للمؤدب الاغاني حفظاً ويستمعه به على كراساته فلا يغلط ابن عبدون ثم تنتهي الرواية بحكم عبدالملك على ابن عبدون بانه (هذا

(٨) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٦٩
(٩) قصة الادب في الاندلس ص ٢٥٠
(١٠) المغرب ج ١ ص ٣٧٤ نقلا عن القلائد
(١١) قصة الادب في الاندلس ص ٢٥٠
(١٢) قصة الادب في الاندلس ص ٢٥١

اديب الاندلس وامامها وسيدها في علم الاداب هذا ابو محمد عبدالمجيد بن عبدون أيسر محفوظاته كتاب الاغاني وما حفظـــه فى ذكاء خاطره وجودة قريحته) . ولا اريد أن اعلق على شيء من هذا سوى أن حفظ الاغاني في التقويم الكلاسيكي يعتبر عملاً أدبياً رائعاً ولهـذا قيّم ابن عبدون على أساسه .

اضافة الى كل الاراء والنقد الذي قدمناه لابن عبدون فسنتعرض لاراء النقاد المحدثين فيه بالتفصيل . فهناك من ضربه مثلاً على تفوّق الاندلسيين على المشارقة فى البكاء على البلاد فما سقطت بلدة أو أشفت على السقوط حتى قالوا فيها شعراً حزيناً فيقول احمد امين (وربما كان من خير الامثلة على ذلك قصيدة ابن عبدون ومطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور[١٣]

وبعض النقاد يشبهه بالمتنبي فيقول عنه بأنه [١٤] أشعر الشعراء الاندلسيين نسجاً على طريقة المتنبي في السياق والبناء مع استقلال غير ضئيل في العناصر الذاتية ويضرب مثلاً على ذلك قوله :

هيهات لا ابتغي منكم هوى بهوى حسبي اكون محباً غير محبـوب
فما أراح لذكرى غير عاليـــةٍ ولا ألذّ بحـــب دون تعـذيب
ولا أصالح أيامي على دخـــنٍ ليس النفاق الى خلقي بمنسـوب
يا دهر ان توسع الاحرار مظلمـةً فاستثنني إن غيلـــي غير مقروب
ولا تخل انني ألقاك منفـــرداً ان القناعة جيش غير مغلـــوب

فابن عبدون هنا يبني كلامه على القوّة ويستأنف بعد قطع الكلام بارسال الحكمة والمثل الا أنه قد يخالف المتنبي في فلســفته إذ يقول (ولا الذ بحب دون تعذيب) كما يخالفه ويبتعد عن طريقه في قوله (ان القناعة جيش غير مغلوب ولكن السياق العام في القصيدة فيه احتذاء شديد لأبي الطيب والفرق بينه وبين المتنبي ليس فى النغمة العامة وانما في أن فلسفته تقوم على قوّة نفسية مستمدّة من الزهد في الناس ومن

(١٣) ظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٠٣
(١٤) تأريخ الادب الاندلسي ص ١١٠

القناعة وليس هذا من مذهب المتنبي . واما احمد ضيف فيشبهه بالمتنبي في مدحه حيث يقول بانه في[١٥] مدحه من عشاق المتنبي وحفظة اسلوبه ومع هذا التقليد ميزته ظاهرة وروحه جذابة في كلامه حلية في ان هذا له كقوله يمدح :

مضوا يظلمون الليل لا يلبسونه وان كان مسكيّ الجلابيب ضافيا
يؤمون بيضاً في الأكنّة لم تزل قلوبهم حباً عليها جآجيا
واغربة الظلماء تنفض بينهم قوادمها مبلولة والخوافيا

وقد وصفت رائيته في رثاء دولة بني الافطس بالغراء (لا بل عقيلته العذراء التي أزرت على الشعر وزادت على السحر وفعلت بالالباب فعل الخمر فجلت عن أن تسامى وانفقت من ان تضاهى فقل لها النظير وكثر إليها المشير وتساوى في تفضيلها وتقديمها باقل وجرير فلله هي من عقيلة خدر قرّبت بسهولتها حتى أطمعت وبعدت حتى عزّت فامتنعت وهي مشهورة لصحة مبانيها ورشاقة الفاظها وجودة معانيها وسلك فيها ابو محمد طريقة لم يسبق اليها وورد شرعة لم يزاحم عليها فلذلك قل مثلها لا بل عدم وعزّ نظيرها)[١٦] وهذه القصيدة هي :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الاشباح والصور
انهاك انهاك لا آلوك موعظة عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حرب وان ابدى مسالمةً والبيض والسود مثل البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأى تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا تغرنك في دنياك نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر
ما لليالي أقال الله عثرتنا من الليالي وخاتنها يد الغير
تُسرُّ بالشيء لكن كي نغرّ به كالأيم ثار الى الجاني من الزهر
كم دولة وليت بالنصر خدمتها لم تبق منها وسل ذكراك من خبر
هَوت بدار وفَكّت غرب قاتله وكان عضباً على الاملاك ذا أثر

(١٥) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٧١
(١٦) قصة الادب في الاندلس ص ٢٤٧

واسترجعت من بني ساسان ماوهبت ... ولم تدع لبني يونان من أثر
والحفت اختها طسماً وعاد على ... عادٍ وجرهم منها ناقص المرر
وما أقالت ذوي الهيآت من يمنٍ ... ولا أجارت ذوي الغايات من مضر
بني المظفر والايام لانزلت ... مراحل والورى منها على سفر
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملت ... بمثله ليلة في غابر العمر
من للأسرّة أو من للأعنّة أو ... من للأسنّة يهديها الى الثغر
من للضبى وعوالي الحظ قد عقدت ... اطراف ألسنها بالعي والحصر
وطوّقت بالمنايا السود بيضهم ... فاعجب بذاك وما منها سوى الذكر
من لليراعة او من للبراعة أو ... من للسماحة او للنفع والضرر
او دفع كارثةٍ اوردع رادفةٍ ... أو قمع حادثة تعيي على القدر
ويب السماح وويب البأس لو سلما ... وحسرة الدين والدنيا على عمر
سقت ثرى الفضل والعباس هامية ... تعزى إليهم سماحاً لا إلى المطر
ثلاثة كذوات الدهر منذ نأوا ... عنى مضى الدهر لم يرجع ولم يحر
ومرّ من كل شيء فيه أطيبه ... حتى التمتّع بالآمال والبكر
اين الجلال الذي غضّت مهابته ... قلوبنا وعيون الأنجم الزهر
اين الاباء الذي أرسوا قواعده ... على دعائم من عزّ ومن ظفر
اين الوفاء الذى اصفوا شرائعه ... فلم يرد أحد منها على كدر
كانوا رواسي ارض الله منذ مضوا ... عنها استطارت بمن فيها ولم تقر
كانوا مصابيحها فمذ خبوا عثرت ... هذه الخليقة يا الله في سدر

أما نثر ابن عبدون فهو نثر[17] أدباء عصره كلام أشبه بالنظم منه بالسجع أو سجع متعمّل غير ظاهر فيه التكلّف إذا قيس بغيره أو عورض بسواه أو معنى قصير في سلسلة من الفاظ طويلة أو هو نوع من البراعة في الاحاطة باللغة وتنسيق الالفاظ أو ضرب من الافتتان الدقيق في اخفاء ابتذال الموضوعات والمعاني المعروفة تحت ستار من الصناعة ولقد يخيّل الى الناقد ان الكتاب في ذلك العصر كان يقلد بعضهم بعضاً وان هذه هي الصفات التي تظهر فيها ميزة الكاتب وانه لا فضل لمن اكتسب

(17) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٧٠

هذه الملكة بكثرة ما يقرأ ويعلم من اساليب معاصريه ومعانيهم . ولابن عبدون رسائل طويلة اكثرها مملوء بالالفاظ المعروفة والعبارات المأخوذة من كلام غيره والاطناب الذي يذهب بصبر القراء وعلى الرغم من اعتباره من اكبر كتاب اهل زمانه ليس فى كتاباته غير الطول الممل والسجع المتكلف ولكن كان هذا الاسلوب من افضل الاساليب . ولابن عبدون في اسلوبه احياناً شبه باسلوب ابن زيدون من ذكر الحوادث واسماء الرجال . والخلاصة ان شعر ابن عبدون افضل من نثره .

إبن قزمان الأكبر

ليس هناك اخبار كثيرة ولا أشعار تستحق الدراسة عند ابن قزمان والمهم هو ان لا نخطيء في ابن قزمان الزجال فاكثر الكتاب كما قدمنا اخطأوا ولا زالوا يفعلون ذلك . فأما[1] أبو بكر محمد الاكبر بن عبد الملك ابن عيسى بن قزمان القرطبي فهو الذي اتخذه المتوكل كاتباً واثنى على بيته واثبت له ابن بسام على رواية ابن سعيد رسالة طويلة من غير طائل وشعراً تركه اولى من ايراده، وقد خدم ابن قزمان المتوكل وقد خلط الرافعي بينه وبين الزجال فقال (أما ابن قزمان فهو الوزير الكاتب ابو بكر بن قزمان اشتمل عليه المتوكل على الله صاحب بطليوس في اواخر القرن الخامس)[2] ويضيف الرافعي قوله والذي اخترع الزجل ابو بكر بن قزمان وكان ممن اشتمل عليه المتوكل ، والرافعي وقع في خطأين الاول انه ادعى ان ابن قزمان هو مخترع الزجل ولم يقل بهذا القول أحد غيره وثانياً انه خلط بين الزجال وبين عمه . والاستاذ نيكل[3] يذكر ابن قزمان ولا يذكر المقصود بقوله هل هو الزجال ام ابن قزمان الاكبر والمرجح انه الاكبر انه يروي له شعراً فصيحاً هو قوله :

اتى من المجد أمرٌ لا مردّ لـه ... نمشي على الرأس منه لا على القدم
زمر ورقص وما احببت من ملح ... عندي واكثر ما تدريه من شيم
حتى يكون كلام الحاضرين بها ... عند الصباح وما بالعهد من قدم
يا ليلة السفح هلا عدت ثانية ... سقى زمانك هطّال من الديم

وانما نحن ذكرناه عند ابن قزمان الاصغر لكون هذه النسبة لأبن

(١) المغرب في حلى المغرب ص ٩٩
(٢) تاريخ اداب العرب جـ ٣ ص ١٧٧
(٣) مختارات من الشعر الاندلسي نيكل ص ١٧٩ بيروت ١٩٤٩

قزمان الاصغر احتمالية لا اكثر ، وقد جاء وصف ابن قزمان الاكبر في القلائد بقوله بانه[٤] مبرز في البيان ومحرز الخصل عند تسابق الاعيان اشتمل عليه المتوكل اشتمالاً ارقاه الى مجلسه وكساه فلاب فاقتطع اسمى الرتب وتبواها ونال اسنى الحظوظ وما تملاّها فان دهره كر عليه بخطوبه وسفر له عن قطوبه فكدر عيشه بعدما صفا وقلص برده الذي كان ضفا وتجرع آخر عمره من كؤوس الذل أبشعها ذوقاً ولبس من ملابس الهوان اشوهها طوقاً من قصة أساء بها ابن احمدين وما أجمل ما جاء بها شوهاً لا تتأمل واخلاقه هي التي من غربه وكانت سبباً لطول كربه فانها كانت تحتدم في جوانحه احتدام القيض تكاد تتميز من الغيظ وكان رحمة ظاهر الصواب متى لبس طاهر الاثواب من كل دنس معجزاً ببيانه موجزاً في كل احيانه وقد أثبت نه ما تعلم به حقيقة قدره وتعرف كيف اساء الزمان اليه بغدره ومن ذلك قوله :[٥]

ركبوا السيول من الخيول وركبـــوا
فوق العوالي السمر زرق نطاف
وتجللوا الغـــدران من ماذيّهـــم
مرتجّـــة الا علـــى الاكتـــاف

ولم اجد لابن قزمان من مادة ادبية اكثر من هذا رغم اني بحثت في مصادر ومراجع عديدة . والنتيجة هي اني لا استطيع ان احكم على ابن قزمان اديباً لاني لم أجد له مادة تستحق الذكر ولهذا فان صـــورته شبحية اذا اخذناها لتصور لنا عصراً اديباً .

---

(٤) قلائد العقيان ص ١٩٥
(٥) قلائد العقيان ص ١٩٥

شخصيات أندلسية

أبو اسحاق الألبيري

هو[1] ابو اسحاق ابراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي الالبيري وهو فقيه مالكي اندلسي مثل دوراً في تاريخ الاسلام الاسباني سياسة وشعراً وتدل نسبته على ألبيرة التي خربت سنة ٤٠١ فخلفتها غرناطة عاصمة للدولة .

لم تذكر سنة ولادته انما يمكن تعيينها في اوائل العشرة الاخيرة من القرن العاشر وكان ينتمي الى قبيلة تجيب العربية وتتلمذ للفقيه الشهير ابن أبي زمنين الذي وصفه صاحب مطمح الانفس بقوله (فقيه متبتل وزاهد لا منحرف الى الدنيا ولا متنقل هجرها هجر المنحرف وحل اوطانه فيها محل المعترف لعلمه بارتحاله عنها وتقويضه وابدالها منه وتعويضه فنظر بقلبه لا بعينه واتنظر يوم فراقه وبينه)[2]. وظل في البيرة على ما يظهر حتى خرابها [3] فانتقل الى غرناطة كاتباً لأبي الحسن علي بن محمد بن توبة الذي ولي القضاء للأمير باديس بن حيوس وبنى الجسر المعروف بجسر القاضي حتى اليوم فى غرناطة وكانت وفاته سنة[4] ٤٥٩هـ أو [5] ٤٦٠هـ أو [6] ٣٨٥ .

ولقصة موته رواية نقلها المقري قال لما مرض الفقيه الزاهد ابو اسحاق الالبيري دخل عليه الوزير أبو خالد هاشم بن رجاء فرأى ضيق مسكنه فقال : لو اتخذت غير هذا المسكن فكان أولى بك فقال وهو آخر شعر قاله : [7]

---

(١) المغرب ص ١٣٢ ودائرة معارف افرام جـ٤ ص١٦٨ تاريخ الادب الاندلس ص ١٣٥

(٢) مطمح الانفس ص ٥٦

(٣) دائرة معارف افرام جـ ٤ ص ١٦٨

(٤) الشعر الاندلسى ص ٥١

(٥) تاريخ الادب الاندلسى ص ١٣٥

(٦) بغية الملتمس ص ٢٠١

(٧) نفح الطيب جـ ٥ ص ٣٨

قالوا الا تستجيد بيتـــاً تعجب من حسنه البيـــوت
فقلت ما ذلكم صـــواباً عش كثير لمن يمـــوت
لو لا شـــقاء ولفح قيظ وخوف لص وحفظ قـوت
ونســـوة يبتغين ســـتراً بنيت بنيان عنكبـــوت

وكان[٨] الالبيري يكمن عداوة شديدة لوزراء الزيديين اليهود على انه لا يظهر مبدياً هذه العداوة اول الأمر بل نراه مبطناً لها ساتراً حقده حتى وفاة ابن توبة ولي نعمته ووفاة الوزير اليهودي الكبير صموئيل بن نغرالة سنة ٤٤٨هـ فلما توفي هذا وولي الوزارة ابنه يوسف أظهر ابو اسحاق كامن حقده وأخذ يكثر الارجاف بحق الوزير وسائر ابناء ملته حتى عارضه زملاؤه فقهاء المالكية فرد عليهم بابيات مؤلمة مطلعها (رأيت الذئب اسلم من فقيه) وكانت النتيجة أن الأمير باديس وقد يكون مدفوعاً بسعي الوزير اليهودي أمر بابعاده الى رابطة العقاب في جبال البيرة وقد اشار الى هذا الامر في احدى قصائده :

الفتْ العقاب حـــذار العقاب وعفت الموارد خوف الذباب

حتى نسبه بعض المؤرخين الى حصن العقاب جاء في المغرب نقلاً عن المسهب قوله (هو من حصن العقاب وكان قد اشتهر فى غرناطة اسمه وشاع علمه وارتسم بالصلاح وكان ينكر على ملكها كونه استوزر ابن نغرالة اليهودي وعلى اهل غرناطة انقيادهم نه فسعى في نفيـــه الى البيرة[٩] . وهنا بصريح العبارة يبدو سعي الوزير لنفيه على ان ابـا اسحاق لم يعد الى غرناطة حتى اطلق قصيدته المشهورة في الحملة على اليهود والحضّ على التخلص من نفوذهم .

الاقل لصنهاجـة اجمعين بدور الندي وأســد العرين

وفي حين نرى الدكتور أحسان عباس يذهب الى أن هذه القصيدة

---

(٨) دائرة المعارف افرام البستاني ج ٤ ص ١٦٨
(٩) المغرب ص ١٣٢

كانت (الشرارة التي اذكت نار الثورة يومئذ)[١٠] نرى مقابل ذلك افرام البستاني يقول (ويصعب الجزم في هل كانت هذه القصيدة السبب المباشر في تلك الثورة الدامية التي قام بها أهل غرناطة على اليهود في ٩ صفر ٤٥٩هـ فقتلوا الوزير يوسف مع ثلاثة الاف من ابناء ملته وقد يميل ابن الخطيب الى هذا الرأي بينا نرى غيره من المؤلفين لا يشيرون الى ذلك وبخاصة الأمير عبدالله انزبيري في مذكراته التاريخية)[١١] .

ومهما يكن من أمر فان ابا اسحاق الالبيري عمل بقصيدته الشهيرة على خلق جو من العداء لليهود والشغب عليهم بيد أنه لم يعش طويلاً بعد هذه الحادثة . وهناك رأي حديث يقول عن الالبيري (دفع اهل غرناطة الى القيام على اليهود وقتلهم بنونيته المشهورة)[١٢] كما وصفه مؤرخ آخر بقوله (الذي وقع اهل زمانه الى خلع نير يوسف بن صموئيل بن النغرالة)[١٣] .

وقد وصف الالبيري بانه (كان فقيها عنيفاً متشدداً ذا شخصية اسبرطية)[١٤] وانه من[١٥] اهل العلم والعمل وكان معروفاً بالصلاح وهو يمثل حلقة الوصل المتوسطة في تاريخ الزهد الاندلسي فقد روى هو مؤلفات ابن ابي زمنين واشعاره ، وينسب اليه كتاب (الذهب المذاب في حلى حصن العقاب)[١٦] ووصف ايضاً[١٧] بالمولى العابد وكان من رافعي مستوى الادب في غرناطة ومن اعلامه كما وصفه جنثالث[١٨] فى حديثه عن الادب في غرناطة . ومن الذين كانوا يحدثون

---

(١٠) تأريخ الادب الاندلسى ص ١٣٥ وظهر الاسلام ج ٣ ص ٢٥٨ ودول الطوائف ص ١٣٣ .

(١١) دائرة المعارف افرام ج ٤ ص ١٦٨

(١٢) الشعر الاندلسى ص ٥١

(١٣) تأريخ الفكر الاندلسى ص ١٠٨

(١٤) الشعر الاندلسي ص ٥١

(١٥) تأريخ الادب الاندلسى ص ١٣٥

(١٦) المغرب ص ١٣٢

(١٧) تأريخ اسبانيا الاسلامية ص ٢٣١

(١٨) تأريخ الفكر الاندلسى ص ١٠٨

عنه عبدالواحد بن عيسى الهمذاني وكان فقيهاً مفتياً حافظاً للفقه دَرِباً بالفتوى ديّناً فاضلاً توفي سنة ٤٠٥هـ ، وقد تشبه[١٩] الالبيري بابي اسحاق ابن العسّال وعلى طريقته جرى وكانا معاً فرسي رهان في ذلك الزمان صلاحاً وعبادةً ، ومن اللافت للنظر أن هذين الزاهدين كانا من أشدّ الناس احساساً بسوء الاوضاع السياسية في وطنهما فبكى ابن العسّال سقوط بربشتر ثم سقوط طليطلة وكان الالبيري صاحب الدعوة الى ثورة صنهاجة .

أما ديوانه فقد جمع ووصلت الينا منه نسخة وحيدة وهي ذات الرقم[٢٠] ٤٠٢ من مكتبة الاسكوريال وقد نشرها غرسية غومسى في (مدريد) غرناطة سنة ١٩٤٤ وفي الديوان بضع وثلاثين قصيدة ومقطوعة ولم يجمع كله فقد وردت في مصادر متنوعة قصائد اخرى وقد طبعها الناشر نفسه . واهم ما فى الديوان بالاضافة لنونيته بعض مقطعات ظرفية من شعر المناسبات المفيدة تاريخياً وما تبقى فمن الزهديات وفي قصائده[٢١] واحدة يعرض فيها بأحد الفقهاء لأنه كان يطلب الكيمياء واخرى في رجل يجرّ ثيابه خيلاء وثالثة يندب فيها خراب إلبيرة ورابعة يرثي فيها زوجه واثنتان في المدح واثنتان يرد فيها على تهجّم من عاب اثنين من اصدقائه وواحدة في تحريض صنهاجة على اليهود وكل ذلك يدلّ على مدى مشاركته في الحياة الاجتماعية يومئذ ويدلّ على انقطاعه الزهدي الذي لم يكن عزلة سلبية الطابع .

ومما وصفت زهديات ديوانه به قول البستاني بأن اسلوبها (جاف بارد يستند الى توسعات لفظية وعموميات مبتذلة فيبدو أقرب الى المواعظ المنظومة منه الى الشعر الصحيح على ان ابن الخطيب يشير الى انتشار هذا الشعر وتأثيره في بعض الاوساط الاندلسية فيقول واما شعره فلا تجد هادي جنازة ولا مذكر مأدبة ولا واعظاً إلا وهو مكثر

---

(١٩) تأريخ الادب الاندلسى ص ١٣٥

(٢٠) دائرة المعارف افرام ج ٤ ص ١٦٨

(٢١) تأريخ الادب الاندلسى ص ١٣٥

منه . بيد ان المطالع العصري لا يـــرى فيه اكثر من وثائق نفسانيـة تاريخية تدل على ما كانت عليه عقلية فقيه اسباني في ذاك العهـد)[٢٢] . أما احسان عباس فيقول بأنه[٢٣] قد يكون في قصائده الزهديـة تذكير ووعظ وتخويف من الموت ونصح بالتخلي عن المال والجاه ولكن لا يتفق ابداً فى مقابل العنصر الذاتي والتلوّم النفسي واستشعار الانقسام بين قوّة الموت وحب الحياة في كثير من قصائده . وعنده ان الالبيري وصل بشعره الزهدي في الادب العربي لا في الاندلس فحسب الى القمة بما اضفى عليه من حرارة الوجد والانفعال والاقرار بالضعف الانساني امام مغريات الحياة ومكافحة الشهوة العارمة ، فاذا بكى نفســه احسست بانه ينتزع انتزاعاً من هذا العالم الارضي ويفارقه وروحه معلقـــة به فيقول[٢٤] .

فيا اخوتي مهما شـهدتم جنازتي ... فقوموا لربي واســألوه نجاتي
وجدّوا ابتهالاً في الدعاء وأخلصوا ... لعـلّ إلاهي يقبـــل الدعوات
وقولوا جميلاً إن علمتم خلافـه ... وأغضوا على ما كان من هفواتي
ولا تصفوني بالذي أنا أهلـــه ... فاشقى ، وحلّوني بخير صـفات
ولا تتناسوني فقـــدماً ذكرتكم ... وواصلتكم بالبرّ طـول حياتي
وبالرغم فارقت الاحبة منـــكم ... ولمّا تفارقني بـــكم زفراتي

لقد عرف الشعر الاندلسي الزهد قبل عصر الالبيري بل لقد كان ابن زمنين شاعراً زاهداً وهو استاذه وكان[٢٥] الشعر الزهدي عند ابن زمنين يلتبس كثيراً بالشعر التعليمي أو يصدر عن دواعي الشيخوخة أما في هذا العصر فقد شحذته فوضى الحياة السياسية واصبح الزهد لدى البعض مذهباً أدبياً أخلاقياً معاً كما كان عند ابي العتاهيـــة في المشرق وكان الالبيري شاعراً مجدداً فنراه أحياناً يستغل الصـــورة الى ابعد

(٢٢) دائرة المعارف افرام جـ ٤ ص ١٦٨
(٢٣) تأريخ الادب الاندلسى ص ١٣٦
(٢٤) ديوان الالبيري ص ٩٩
(٢٥) تأريخ الادب الاندلسى ص ١٣٠

حدودها فهو يستغل الصور الحربية في قوله :(٢٦)

لو كنت في ديني من الأبطال ما كنتُ بالواني ولا البطّال
ولبستُ منه لأمةً فضفاضةً مسرودة من صالح الأعمال
لكنني عطلت اقواس التقى من نبلها فرَمَت بغير نبال
ورمى العدوّ بسهمه فأصابني إذ لم أحصّل جُنّة لنضال

ولو شئنا ان نشبه سلاسة وسهولة شعره بشعر ابي العتاهية لوجدنا كثيراً من اوجه الشبه فمثلاً يقول ابو العتاهية(٢٧) .

حسبك مما تبتغيه القوت ما اكثر القوت لمن يموت
الفقر فيما جاوز الكفافا من اتقى الله رجا وخافا

الا يشبه هذا قول الالبيري شكلاً ومضموناً(٢٨)

قالوا ألا تستجيد بيتاً تعجب من حسنه البيوت
فقلت ماذلكم صواباً عش كثير لمن يموت

حتى نكاد نحس اشتباك الالفاظ والمعاني . وكما ان ابا العتاهية خرج على بعض شكليات الشعراء في القافية كذلك فعل الالبيري فلنلاحظه في هذه القصيدة التي اخذ فيها الكلمة الواحدة قافية :(٢٩)

يا أيها المغترّ بالله فُرَّ من الله الى الله
ولُذْ به وأسأله من فضله فقد نجا من لاذ بالله
وقم له والليل في جنحه فحبذا من قام لله
واتلُ من الوحي ولو آيةً تكس بها نوراً من الله

وكذلك قصيدة اخرى في(٣٠) الديوان قافيتها كلمة النار وهي ثمانية وثلاثون بيتاً . ومن ناحية الصورة في شعره فنحن نراه يستغل

(٢٦) ديوان الالبيري ص ١٨٠
(٢٧) تأريخ اداب اللغة العربية جـ٢ ص٦٩ جرجي زيدان مصر ١٩١١
(٢٨) تأريخ الفكر الاندلسي ص ١٠٨
(٢٩) ديوان الالبيري ص ١١٤
(٣٠) نفس المصدر ص ١٤٤

الصورة الى ابعد حد فقد مرّ بنا مثال استغلاله للصور الحربية واحياناً يستغل الصور الجنسية لتصوير الصراع النفسي بين الواجب الديني وبين المرأة حيث يقول(٣١) .

حسبي كتاب الله فهـــو تنعّمي وتأنســـي فى وحشتي بدفاتري
افتضّ ابكاراً بهـــا يغسلن من يفتضّهنّ بكل معنى ظاهـــر

ومن اجمل تصويراته واغربها تشبيهه لسان الثرثار بالناقوس .

ولقد عجبتُ لمؤمن في شـــدقه جرس كناقوس ببيعـــة كافر

أما قصيدته النونية فيقول في مطلعها(٣٢) .

الأقـــل لصنهاجةٍ أجمعين بدور الزمـان واســـد العرين
مقالة ذي مقـــةٍ مشفـــقٍ يعدّ النصيحـــة زلفى ودين

وبعد أن دخل القصيدة موجهاً خطابه الى بدور الزمان وأسد العرين وابلغهم هذه المقالة من محب مشفق ليس له غاية من عمله سوى الزلفى والدين ، وهنا يبدو الشاعر مخططاً لما سيقوله وحذراً من مضمون كلامه اذ انه يتعرض لزلة سيد اليهود التي تقرّ بها اعين الشامتين حيث انه تخير كاتباً كافراً وكان يستطيع تخيره من المؤمنين ثم يبين عزة اليهود بهذا العمل وتكبرهم وهم من الأرذلين ، ولقد نال اليهود مناهم وجاوزوه وهم لا يشعرون ثم يطالب بانزالهم حيث يستأهلون وهو :

وانزلهم حيـــث يستأهلـــون وردّهم اســـفل الســـافلين

ويوضح طوفانهم بافواجهم بذلهم وهو نهم ويرجع لمخاطبة ماذيس فيمدحه ثم يعتب عليه كيف يحب فراخ الزنا مع أنهم يبغّضـــونه الى العالمين ثم يستدل بالقرآن على عدم استعمال الفاسقين وتحذيره من ذلك

وقـــد انزل الله في وحيـــه يحذّر من صحبة الفاســـقين
وكيف قسّموا أعمالها وكيف يقبضون جباياتهـــم وكيف يخصـــمون

ثم يهجو اليهود ويطلب معاقبتهم ويصوّر صورة اليهود بغرناطة ويقصمون ويلبسون رفيع الكساء بينما غيرهم يلبس أوضـاعها وكيفه

(٣١) تأريخ لادب الاندلسى ص ١٣٨
(٣٢) تأريخ اسبانيا الاسلامية ص ٢٣١

يستغلون فيمدحون وكيف يسخرون بدين المسلمين ثم يصرح العبارة .

فبادِرْ الى ذبحه قربةً ... وضحِّ به فهو كبش سمين

ويعتذر للأمير اذا قتلهم بأن هذا العمل ليس غدراً ويطلب منه ان يراقب الله في حزبه وتنتهي القصيدة .

ومن جهة الشكل في القصيدة نلاحظ طريقة اختياره للقافية الهامسة التي تدلّ على العتب وهذا المدّ الذي يعطي معنى الانين ويرنّ في الاذن معنى العتاب . ونلاحظ نفسية الالبيري تتضح هادئة في اقتراحها الامور حسنة التقدير لها كما انه يلاحظ هذا الصوت الذي يأتي ككلمة آمين بعد كل بيت مما يدخلنا في جوٍّ صوفي روحي وهذه هي القصيدة نثبتها هنا لأهميتها :

الا قل لصنهاجة اجمعين ... بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذي مقةٍ مشفقٍ ... يعدّ النصيحة زُلفى ودين
لقد زلّ سيدكم زلّة ... تقر بها اعين الشامتين
تخير كاتبه كافرا ... ولو شاءَ كان من المؤمنين
فعزّ اليهود به واتخوا ... وتاهو وكانوا من الارذلين
ونالوا مناهم وجازوا المدى ... وقد جاز ذاك وما يشعرون
فكم مسلمٍ راهبٍ راغبٍ ... لأرذل قردٍ من المشركين
وما كان ذلك من سعيهم ... ولكنّ منا يقوم المعين
فهلا اقتدى فيهم بالأولى ... من القادة الخيرة المتقين
وانزلهم حيث يستاهلون ... وردّهم اسفل السافلين
وطافوا لدينا بأفواجهم ... عليهم صغار وذل وهون
ولم يستخفوا بأعلامنا ... ولم يستطيلوا على الصالحين
أباديس انت امرؤ حاذق ... تصيبُ بظنّك مرمى اليقين
فكيف تحب فراخ الزنا ... وقد بغّضوك الى العالمين
وكيف استنمت الى فاسقٍ ... وقارنته وهو بئس القرين
وقد انزل الله في وحيه ... يحذّر من صحبة الفاسقين

فلا تتخذ منهم خادماً ... وذرهم الى لعنة اللاعنين
فقد ضجّت الارض من فسقهم ... وكادت تميد بنا اجمعين
وكيف انفردت بتقريبهم ... وهم في البلاد من المبعدين
على انك الملك المرتضى ... سليل الملوك من الماجدين
وان لك السبق بين الورى ... كما انت من جلة السابقين
واني احتللت بغرناطة ... فكنت اراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها ... فمنهم بكل مكان لعين
وهم يقبضون جباياتها ... وهم يخصمون وهم يقصمون
وهم يلبسون رفيع الكسا ... واتتم لأوضاعها لابسون
وهم أمناكم على سرّكم ... وكيف يكون أميناً خؤون
ويأكل غيرهم درهماً ... فيقصى ويدفون إذ يأكلون
وقد ناهضوكم الى ربكم ... فما يمنعون وما يُنكَرون
وقد لابسوكم باسحارهم ... فما تسمعون ولا تبصرون
وهم يذبحون بأسواقنا ... واتتم لأطريفكم آكلون
ورختم قردهم داره ... وأجرى إليها نمير العيون
وصارت حوائجنا عنده ... ونحن على بابه قائمون
ويضحك منا ومن ديننا ... فإنا الى ربنا راجعون
ولو قلت في ماله أنه ... كما لك كنت من الصادقين
فبادر الى ذبحة قربة ... وضحّ به فهو كبش سمين
ولا ترفع الضغط عن رهطه ... فقد كنزوا كل علق ثمين
وفرّق عراهم وخذ ما لهم ... فأنتم أحقّ بما يجمعون
ولا تَحسَبَنْ قتلهم غدرة ... بل الغدر في تركهم يعبثون
فقد نكثوا عهدنا عندهم ... فكيف تلام على الناكثين
وكيف تكون لنا همة ... ونحن خمول وهم ظاهرون
ونحن الاذلة من بينهم ... كأنا أسانا وهم يحسنون
فلا ترضى فينا بأفعالهم ... فأنت رهين بما يفعلون
وراقب الهك في حزبه ... فحزب الاله هم المفلحون

ابن الحداد

هو[1] أبو عبدالله محمد بن احمد بن عثمان القيسي الاندلسي وهذا ما اتفق عليه فى اسمه في جميع المصادر الا ان هناك من يزيد وينقص في نسبته فهناك من يقفز مباشرة الى جده فيقول ابو[2] عبدالله محمد بن الحداد وبعضهم لا يسميه ابن الحداد وانما[3] محمد بن احمد القيسي ومنهم من لا يسميه الا بابن[4] الحداد وجاء ان لقبه[5] مازن . أما ميلاده فلم يذكر اي مصدر من المصادر القديمة أو الحديثة شيئا عن ميلاده وكل الذي وصلنا هو انه عاش في القرن الخامس الهجري وان سنة وفاته[6] بالاتفاق كانت فى ٤٨٠هـ وجاء في وصفه نقلا عن السمط انه (المستولي على الاماد المجلي في حلبات الافذاذ والافراد)[7] ووصفه الحجاري وابن بسام بالتفنن في العلوم ولا سيما القديمة ، واما صاحب المطمح فوصفه بقوله : (شاعر مادح وعلى ايدي الندى صادح ، لم ينطقه جود معن او صادح فلم يرم متواهما ولم ينتجع سواهما واقتصر على المروية واختصر قطع المهامه وخوض البرية فعكف فيها ينثر درره في ذلك المنتدى ويرتشف ابدا ثغور ذلك الندى مع تمييزه بالعلم وتخيره الى فئة الوقار والحلم وانتمائه الى اية سلف ومذاهبه مذاهب اهل السرف وكان له لسن ورواء يشهدان له بالنباهة ويقلدان ما شاء من

(١) دائرة معارف افرام جـ ٢ ص ٤٣٧ ودائرة معارف بطرس جـ١ ص ٤٤٢ وفوات الوفيات جـ ٢ ص ٣٤١

(٢) ادباء العرب في الاندلس البستاني ص ٣٢ ومعجم المؤلفين جـ ٢ ص ١٧٨

(٣) القاموس الاسلامي احمد عطية جـ ٢ ص ٥١ القاهرة ١٩٦٦

(٤) الادب العربي في الاندلس خفاجة ص ٥٠

(٥) الحلة السيراء ابن الابار جـ ٢ ص ٨٢ القاهرة ١٩٦٣
والوافي بالوفيات الصفدي جـ ٢ ص ٨٦ اسطنبول ١٩٤٩

(٦) الحلة السيراء جـ ٢ ص ٨٢

(٧) المغرب جـ ٢ ص ١٤٣

الوجاهة)[٨] . كما وصفه ابن بسام[٩] بأنه كان شمس ظهيرة وبحر خبر وسيرة وديوان تعاليم مشهورة وضح في طريق المعارف وضوح الصبح المتهلل وضرب فيها بقدح ابن مقبل ، وكان فى صباه قد مني بصبية نصرانية ذهبت[١٠] بلبه كل مذهب وركب اليها اصعب مركب فصرف نحوها وجه رضاه وحكمها في رأيه وهواه وكان يسميها نويرة كما فعل الشعراء والظرفاء قديما في الكناية عمن احبوه وتغييراسم من علقره، وكان[١١] قد اتصل بالمعتصم ابن صادح وقد علت رتبته عنده حتى اسند اليه الوزارة وأحظاه، وسبب اقصاه المعتصم له بعد ذلك يعود الى انه رمى المعتصم بالبخل ولم يكن المعتصم بخيلا انما كان اكرم شميمته الحسنى وقيل انه[١٢] فر عنه الى ابن هود صاحب سرقسطة ثم عاد . ومما حدث[١٣] له في مجلس المعتصم هو حضوره مع ابن اللبانة فانشد فيه قصيدة أبرز بها في عزاء الاحسان لما لم ينفصم واستمر فيها يكمل بدائعها فاذا هو قد اغار على قصيدة ابن الحداد التي أولها :

عج بالحمى حيث الظباء العين
فقال ابن الحداد مرتجلا

حاشا لعدلك يا ابن معن أن ترى في سلك غيري دري المكنون
واليكها تشكو استلاب قطيعها عج بالحمى حيث الظباء العين
فاحكم لها واقطع لسانا لا يدا فلسان من سرق القريض يمين

وسمع[١٤] المعتصم احد الادباء ينشد قول ابن الحداد :

سامح اخاك اذا اناك بزلة فخلوص شيء قلما يتمكن

(٨) مطمح الانفس ص ٩١
(٩) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ابن بسام جـ ٢ ص ٢٠١ القاهرة ١٩٤٢
(١٠) الشعر الاندلسى ص ٥٠
(١١) تاريخ الفكر الاندلسى ص ١١٢
(١٢) المغرب جـ ٢ ص ١٤٣
(١٣) نفح الطيب جـ ٥ ص ٥٠
(١٤) نفس المصدر جـ ٥ ص ٤٨

في كل شيء آفة موجودة ان السراج على سناه يدخن

فاعجب المعتصم بهما ثم سأل عن قائلهما فاخبر فتبسم وقال أتعرف الى من اشار بهذا المعنى ؟ قال ما أعرف الا أنه مليح ، فقال المعتصم كنت في الضبا وهو معي القب بسراج الدولة فقاتله الله ما آشعره فسلوه فلما باحثوه في ذلك اخر بحسن حدس المعتصم واكتنفته سعايات وكان ممن يغلب لسانه على عقله ففر من المرية وحبس أخوه بها فقال :

الدهر لا ينفك في حدثان والمرء منقاد لحكم زمان

وعلمت ان السعد ليس بمنجح ما لا يكون السعد من اعوان

والجُدّ دون الجِدّ ليس بنافع والرمح لا يمضي بغير سنان

وبلغت الابيات المعتصم فقال شعره اعقل منه صدق فأنه لا يتهيأ له صلاح عيش الا بأخيه وهو منه بمنزلة السنان من الرمح ثم امر باطلاق سراحه ولحاقه به ،

لقد اشتهر ابن الحداد حتى كان يشار اليه بالمشهور فهناك من يقول انه[١٥] يعتبر من أشهر الشعراء الاندلسيين وكثيرا ما ردد انه من فحول الشعراء يقول المراكشي (وقد لزم ابن صمادح فحول من شعراء الوقت كأبي عبدالله بن الحداد وابن عبادة وابن الشهيد)[١٦] . ويقول ابن الخطيب عن المعتصم (ولزمه فحول من الشعراء كأبي عبدالله بن الحداد)[١٧] . ويقول ابن الابار عن المعتصم (ولزم حضرته فحول من الشعراء كأبي عبدالله وفيه استفرغ شعره)[١٨] . كما كان رفيع النفس كما ذكرنا في استشهادنا لصاحب المطمح ولم يكن[١٩] مبتذلا في مدحه ولا متغاليا ، وكان مشهورا خاصة[٢٠] بغزله المسيحي وقد بدت آثار

---

(١٥) الادب العربي في الاندلس ص ٥٠

(١٦) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب المراكشي جـ ٣ ص ١٧٥ بيروت

(١٧) تاريخ اسبانيا الاسلامية ص ١٩٠ بيروت ١٩٥٦

(١٨) الحلة السيراء ابن الابار جـ ٢ ص ٨٢

(١٩) ادباء العرب فى الاندلس ص ٣٢

(٢٠) في الادب الاندلسى ركابي ص ١٢٢ مصر ١٩٦٠

السئة محل أشعار الاندلسيين الغزلية فشاع عندهم الغزل النصـــرانى وذكر الكنائس والقساوسة والصلبان كغزل ابن الحـــداد في نويرة النصرانية و (كحالة) يصفه بقوله (اديب كاتب شاعر عروضي)[٢١] .

وهناك من يجعله في الطبقة الاولى من الشعراء ولهذا السبب نرى أنه لا يقول الموشح برأى الكاتب (وجدنا ان فحول الشعراء قد أنفوا من النظم على طريقتها فلا يعرف لابن زيدون والمعتمد ابن عبـاد وابن عمار وابن الحداد وهم من معاصري محمد بن عبادة القزاز وابن ارفع راسه وابن اللبان شيئا من الموشحات وكان لهؤلاء الشعراء من شعرهم التقليدى ما ضمن لهم اعظم المراتب وصرفهم عن التفكير فيما كان يعـد ضربا من التهازل والتماجن)[٢٢] .

ذكر[٢٣] له كتاب في العروض وهو كتاب المستنبط[٢٤] في علم العروض . ومما يذكر له انه كان يقول في الزهد فعلّل هذا القول بأن الفلسفة لا التقوى جعلته يقول هذا (وقد كانت الفلسفة ـ لا التقوى ـ عيانا مصدر هذا الزهد ونحن نعلم ذلك من حال الشاعر ابن الحـداد الذي اختص بمدح بني صمادح واستوطن المرية أكثر عمره وكان شغوفا بالثقافة الفلسفية)[٢٥] ، ويضعه احمد ضيف[٢٦] في صف الشـــعراء المفكرين اكثر منه في صف الخياليين الذين يصفون الاشـياء وصفا أو يذكرونها كما يرونها . وأما كتابه[٢٧] في العروض فقـــد وصف بأنه مبتور معروف وانه خرج فيه بين الالحان الموسيقية والاراء الخليلية ورد فيه على السرقسطي المنبوذ بالجمار ونقض كلامه فيما تكلم عليـه من الاشـطار .

---

(٢١) معجم المؤلفين كحالة جـ ٩ ص ١٧٨
(٢٢) فن التوشيح عوض عبدالكريم ص ١٣٠
(٢٣) الوافي بالوفيات جـ ٢ ص ٨٦ وفوات الوفيات جـ ٢ ص ٤١
(٢٤) القاموس الاسلامي جـ ٢ ص ٥١
(٢٥) تاريخ الادب الاندلسى جـ ٢ ص ١٣١
(٢٦) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٨٤
(٢٧) الذخيرة جـ ٢ ص ٢٠١

اما من حيث كونه كاتبا فقد كان[٢٨] ابن الحداد من اهل الجد واصحاب الاطلاع واهل الذوق فى الادب واللغة لان نثره نثر فني مملوء بالمعاني واسلوبه سهل متين هو اسلوب اديب مطلع على احوال الاجتماع ونفوس الناس هادىء في كلامه جزل في الفاظه واضح غير متكلف في معانيه يلمح المعنى في ذهنه كما يلمح اللفظ اللائق به وكانما يتقابل المعنى واللفظ في خاطره فيلبس احدهما الاخر ويمتزج هذا بهذا او كأنما قيس كل منهما على سمت صاحبه فاذا أراد ان يكتب ازدحمت امامه المعاني وتراكمت عليه الامثال والحكم والتراكيب العربية التي تمربذهنه وذاكرته فيأخذ منها ما سبق الى لسانه وما علق بذاكرته لذلك نجد في رسائله المعنى الطريف والظريف وكلام غيره وصناعة سواه من مفاهيم الادباء واساليب الشعراء وهو كأنه نقاد يختار منها الجياد ولا يخرج عن المعنى لذي يريد ولا عن الرأي الذي اليه قصد ويقفو اثر المعاني اكثر من اقتفائه الالفاظ وقلمه جواب ونفسه وكلامه غير كثير الاطناب ولكنه غير ظاهر ظهوره في كلام غيره . وجملة القول ان اسلوبه النثري من الاساليب الادبية التي تسلد على توسم الالسنة مما اعتراها من العجمة وهذه رسالة له وهي جواب عن كتاب عتاب استفتحه من قول ابى الطيب[٢٩]

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

عادى محبيه بقول عداته واصبح في ليل من الشك مظلم

كان ــ اعزك الله ــ العتاب جلاء الاقذاء وصقال الاصداء وعقال الادواء وسمتني منه بوسوم ولفحتني بسموم وأسررت حسوا في الارتقاء فادرجت ذما من ثناء والحر يأنف من الضيم ويشمئز من الذيم ولا يقتصر على الاجتزاء بغير الجزاء ولو ترك القطا ليلا لنام وفي العتاب حياة بين الاقوام فاصطبر يشرب صبره وانتدب لتسوغ مقره فمن الحكم العدل والقضاء الفصل وان ألذعك بما لذغتني واجرعك ما جرعتني غير آفك في حال ولا مباهت بمحال فالتمويه ليس من الخلق النبيه .. الخ .

---

(٢٨) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٨٣

(٢٩) الذخيرة ص ٢٠١

أما من حيث كونه شاعرا مجددا فقد اطال الدكتور احمد ضيف في تحليل ما قاله ابن الحداد ولكن لابد لنا من بالاعتماد عليه باعتبار عدم وجود كاتب اخر تعرض له بالتحليل . ان[٣٠] كلام ابن الحداد في اوصاف المسيحية والقسس والكنائس والصلوات من الاشياء النادرة في الشعر العربي فهو قد خرج عن عادة الشعراء في الاقتصار على اوصاف النفوس وآلامها عند الكلام على العشق وهذا يدل على شيء من الابتكار وسعة الخيال وتأثر الشعر وعقول الشعراء بما يرون في الحياة . وكلام ابن الحداد في النصرانية وأهلها وان كان قليلا فهو جديد في الشعر العربي الم اليه بعض الماح المتنبي وابو العلاء وغيرهما مع ان كثيرا من الشعراء كان يعيش مع هؤلاء الناس ويرى اعمالهم الدينيه ولكن لقصر في خيالهم وجمود في عقائدهم لم يحوموا حول هذه الموضوعات في الكلام على من كانوا يعاشرون من الامم التي تدين بغير دين الاسلام وما كانوا عليه في اعمالهم الدينية المملوءة بالالهامات الشعرية والخيالات وليس ابن الحداد اول من احب نصرانية من الشعراء حتى كان سببا من أسباب طرق هذا الموضوع لديه لكنه كان يرى ما لا يراه غيره قال في حبيبته[٣١] :

فان لي بالروم روميـــــة تكنس ما بين الكنيسات
أهيم فيها والهوى خلّــة بين صواميع وبيعـــات
وفي ظباء البدو من يزدري بالظبيات الحضـــريات
أفصح وجدي يوم فصح لهم بين الاريطى والدوحـــات
وقد أتوا منه الى موعـــد واجتمعوا فيه ببيعـــات
وكل قس مظهـــر للتقى بعد لانصات واجنـــات

ان هذا شيء جديد في الشعر العربي او من نوادر اشعار العرب ونرى السلاسة والسهولة والرقة بل والبساطة أحيانا في شعره ويذهب مذهب ابي العتاهية والعباس بن الاحنف في ذلك فمن قصر البحر الشعري

---

(٣٠) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٨٤
(٣١) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٨٥

الى بساطة القافية فهو يقول لها[٣٢] :

فإن الحسن ولاك ... احيائي واهلاكي
واولعني بصلبانٍ ... ورهبان ونساك
ولم آتِ الكنائس عن ... هوى فيهن لولاك
وها أنا منك فى بلوى ... ولا فرج لبلواك
ولا اسطيع سلوانا ... فقد اوثقت اشراكي
وكم ابكي عليك دما ... ولا ترثين للباكي

وشعره[٣٣] في نويرة اذا تلوناه شعرنا بنفحه عذرية بدا مثلها فيما بعد في اشعار التروبادور ، واشعار ابن الحداد لها فائدة اخرى فيما تمنحنا صورة واضحة عن طريقة احياء المسيحيين والمسيحيات لشعائرهم الدينية كما كانت معروفة عندهم .

ويستعمل احيانا الطرق البلاغية في رسم صوره واستعاراته فيقول[٣٤]:

ورأت جفوني من نويره ... كأسمها
نارا تضل وكل نار ترشد
والماء أنت وما يصح لقايضٍ
والنار أنت وفي الحشا تتوقد

ومن ابدع اوصافه قوله يصف اسطول المعتصم بن صمادح[٣٥] :

هام صرف الردى بهام الاعادي ... ان سمت نحوهم لها اجياد
وتراءت بشرعها كعيون ... دأبها مثل خائفيها سهاد
ذات هدب من المجاذيف حاكٍ ... هدب باكٍ لدمعه أسعاد
حمم فوقها من البيض نار ... كل من ارسلت عليها رماد
ومن الخط في يدي كل در ... ألف خطها على البحر صاد

---

(٣٢) بلاغة العرب في الاندلس ص ١٨٦
(٣٣) في الادب الاندلسى ص ٥٢
(٣٤) الذخيرة جـ ٢ ص ٢١٣
(٣٥) نفح الطيب جـ ٥ ص ١٩٨

ابن اللبّانة

حينمـــا بحثت عن أبي بكر بن اللبانه الداني تحت لقب الداني اختلط عليّ الامر اذ ان النسبة الى دانية كثيرة وممن اشتبه علي[1] ابو العباس الداني المتوفي سنة ٥٢٠هـ ولكن بعـــد البحث تحت لقب ابن اللبانة وجدت اسمه[2] محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني الاندلسي المشهور بابن اللبانة أبو بكر وبعض المؤرخين لا يذكر هذا النسب كاملا فيقول أبو بكر[3] محمد بن عيسى اللخمي الاندلسي او وهو كثير[4] ابو بكر بن اللبان الداني . والداني[5] نسبة الى دانية وكان من أهلها واما سبب[6] تسميته ابن اللبانة فقد جاء ان امه كانت تبيع اللبن ، وقد وجدت اسم[7] ابي بكر الداني محمد بن عبدالله وقد ذكر ان ابن الاحمر صلبه على نهر قرطبة والقلم مربوط ببنانه لكي يعلم الناس ان ضارب عنقه سيف لسانه وذلك سنة ٦٣١هـ وهذا ليس ابا بكر بن اللبـــانة الداني وكاد يشبه عليّ أيضا .

ولم تذكر المصادر عن ميلاد ابن اللبانة شيئا ولم يتعرض له احد بترجمة حياته يقول فيه ابن خاقان (المديد الباع الفريد الانطباع الذي ملك للمحاسن معتادا وغدا له البديع منقادا أي مقالٍ ينبيء عن معناه وفصله وأي ارتال ينتهي الى مداه وخصاله وقد شد فما يشرك وبذ فما يدرك رقى الى ما احبه وقطع سنام كل معارض وجبه)[8] وكـــان

---

(١) هدية العارفين البغدادي جـ ١ ص ٨٣ اسطنبول ١٩٥١
(٢) معجم المؤلفين كحالة جـ١١ ص ١٠٨
(٣) شذرات الذهب الحنبلي جـ ٤ ص ٢٠ القدس ١٣٥٠ هـ
(٤) الشعر الاندلسي غومس ص ٥٠
(٥) الاعلام جـ ٧ ص ٢١٤
(٦) المغرب ص ٢٠٢
(٧) اختصار القدح المعلي ص ١٢٤ القاهرة ١٩٥٤
(٨) قلائد العقيان ص ٢٥٦

متصلا[٩] بالمعتصم بن صمادح صاحب المرية فأغار على قصيدة لشاعره ابن الحداد فغضب ابن الحداد وطلب من المعتصم ان يقطع لسان ابن اللبانة فترك هذا المرية وانتقل الى اشبيلية ومدح المعتمد في اواخر أيامه ومدح بنيه وله في ابنه الرشيد الموشحات ولما وقعت الكارثة سنة ١٨٤هـ ونفي المعتمد الى اغمات ذهب ابن اللبانة اليه في منفاه ومدحه بعدة قصائد ورفض ما منحه اياه المعتمد من مكافأة على مدحه اخلاصا منه ووفاء لذكرى الايام التي كان يتمتع فيها بعطاء الملك المنكود واتصل بعد رجوعه من اغمات بناصر الدولة مبشرا صاحب ميورقه وكان[١٠] لابن اللبانة أخ اسمه عبدالعزيز وكانا شاعرين الا ان عبدالعزيز منهما لم يرض الشعر صناعة ولا اتخاذه مكسبا وانما كان من جملة التجار وأما أبو بكر فرضيه بصناعة وتخيره مكسبا واكثر منه وقصد به الملوك فأخذ جوائزهم ونال أسنى الرتب عندهم ، وقد[١١] اضاء تلك الحقبة الزاهرة التي كان فيها الامير الشاعر المعتمد مركزا تنجذب اليه وتلتف حوله طائفة من الكتاب الرقيقين كابن زيدون وابن عمار وكان المعتمد[١٢] يميزه بالتقريب ويستعذب شعره ويوليه انعاما واحسانا وقد[١٣] اتصل بغير المعتمد من ملوك الطوائف ، وفي وفاته اجمعت المصادر على انه توفي في ميورقة سنة[١٤] ٥٠٧هـ وخالف اتفاقهم مصدر واحد حيث جاء انه توفى سنة[١٥] ٥٠٨ .

واما عن ثقافته فليس ثمة اي خبر يعطينا مفهوما عن ثقافته وكل

---

(٩) فن التوشيح ص ١٢٨

(١٠) المعجب المراكشي ص ٢١١

(١١) حضارة العرب في الاندلس بروفنسال ص ٣٣

(١٢) المعتمد بن عباد علي ادهم ص ١٢١ مصر

(١٣) ادباء العرب في الاندلس البستاني ص ٣٢ بيروت ١٩٣٧

(١٤) المطرب ج ١ ص ٥١ ايضاح المكنون ج ٢ ص ٥٦٢ كشف الظنون ج ٣ ص ٦٣

(١٥) مرآة الجنان وعبرة اليقظان اليافعي ج ٣ ص ١٩٧ حيدر آباد ١٣٣٨ هـ

ما قيل فيه هو انه[١٦] شاعر اخباري وانه كان من فحول[١٧] الشعراء غزير الادب قوي العارضة ووصف بانه[١٨] كان من جلة الادباء وفحول الشعراء معين الطبع واسع الذرع غزير الادب قوي العارضة متصرفا في البلاغة وقد أخذ عنه أبو عبدالله بن الصفار زياد المحدث .

ومع[١٩] سهولة الشعر عليه واكثاره منه فانه كان قليل المعرفة بعلله ولم يجد الخوض في علومه وانما كان يعتمد في اكثره على طبعه وقوة قريحته ،وقد عظم[٢٠] ووضع في مرتبة الفحول مع ابن زيدون وابن عمار ، وبعض المؤرخين ينسبون اليه اختراع الموشحات (وكان اشهر من شهر بالموشحات في الاندلس وكان أول من ثار على الاوزان القديمة وابتدع الموشحات كما يروى هو ابن اللبانة[٢١] .

ولا نعرف على أي مصدر اعتمد هذا الكاتب ونم يشر الى ناقل الخبر وهو مخطىء ولا شك لان الموشح اقدم من ابن اللبانة بل ان الكاتب يناقض نفسه فى كتاب اخر حيث يقول : (ان اول من ثار على الاوزان القديمة وابتدع الموشحات كما يروى هو مقدم بن معافى القبري)[٢٢] . ولكن مما لا شك فيه هو ان ابن اللبانة اشتهر[٢٣] بالموشحات ونظمها . ويقول احد الكتاب فيه بانه (من مشاهير الوشاحين في عصر ملوك الطوائف)[٢٤] ، بل يضيف هذا الكاتب بانه كان ينظم الزجل ايضا ولم أجد له زجلا فيما بحثت ، واما من جهة كتبه فاكثر الذين يتكلمون عنه يذكرون كتبه ومنها نظم السلوك[٢٥] في وعظ الملوك

(١٦) معجم المؤلفين جـ ١١ ص ١٠٨
(١٧) المطرب جـ ١ ص ٥٤
(١٨) التكملة جـ ١ ص ٤١٠
(١٩) المعجب ص ٢١١
(٢٠) الادب العربي في الاندلس خفاجة ص ١٧
(٢١) نفس المصدر ص ١٨
(٢٢) قصة الادب في الاندلس خفاجة جـ٢ ص ١٣٩ بيروت ١٩٦٢
(٢٣) ابن زيدون شوقي ضيف ص ٢٠
(٢٤) فن التوشيح ص ١٢٨
(٢٥) كشف الظنون حاجي خليفة جـ ٣ ص ٦٣

والاعتماد[٢٦] في اخبار بني عباد وكتاب[٢٧] سقيط الدرر ولقيط الزهر وكتاب[٢٨] مناقد الفتنة ، وابن اللبانة اخباري يعتمد عليه اصحاب التواريخ عن ذلك ابن الابار[٢٩] ينقل عنه بعض الروايات والاخبار وكذلك ابن الاثير[٣٠] ينقل بعض الاخبار عنه ومن اخباره هذه انه يقول: كنت ذات يوم عند الرشيد بن المعتمد في مجلس انسه سنة ٤٨٣هـ فجرى ذكر غرناطة وملك أمير المسلمين لها وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاقة فلما ذكرناها تفجع وتلهف واسترجع وذكر قصرها فدعونا لقصره بالدوام ولملكه بتراخي الايام فأمر عند ذلك أبا بكر الاشبيلي بالغناء فغنى :

يا دار ميـــة بالعلياء فالســـند
أقوت وطال عليها ســـالف الابـــد

فاستحالت مسرته وتجهمت اسرته ثم أمر بالغناء من ســـتارته فغنى لـــه :

ان شـــئت ان لا ترى صبرا لمصطبر
فانظـر الى اي حـــال أصبح الطلل

فتأكد تطيره واشتد ارتداد وجهه وتغيره وأمر مغنية اخرى بالغناء فغنـــت :

يا لهف نفسي على حال أفرقه ... على المقلّين من اهل المروءات
انا اعتذاري الى من جاء يسألني ... ماليس عندي من احدى المصيبات

قال ابن اللبانة فتلافيت الحال بأن قمت فقلت :

محل مكرمة لا هُوَ مبناهـا ... وشـــمل مأثرة لاشتت الله
البيت كالبيت لكن زادنا شرفا ... ان الرشيد مع المعتـــد ركناه
ثاو على انجم الجوزاء مقعده ... وراحل في سبيل الله مثـــواه

---

(٢٦) ايضاح المكنون ج ١ ص ٩٨ ط البهية ١٩٤٥
(٢٧) دائرة المعارف بطرس البستاني ج ١ ص ٦٧٠ بيروت ١٨٧٦
(٢٨) الاعلام ج ٧ ص ٢١٤
(٢٩) الحلة السيراء ج ٢ ص ٩١
(٣٠) الكامل في التاريخ ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٤٩ بيروت ١٩٦٦

ضم على الملك ان يقوى وقد وصلت بالشرق والغرب يمناه ويسراه
بأس توقد فاحمرت لواحظه ونائل شب فاخضرت عذاراه

فلعمري قد بسطت به نفسه واعدت عليه بعض أنسه على اني وقعت فيما وقع فيه الكل بقولي البيت كالبيت وامر اثر ذلك بالغناء فغني :

ولما قضينا من منى كل حاجة
ولم يبق الا ان تزم الركائب

أما شعره فقد كان شاعرا[٣١] يتصرف وقادرا لا يتكلف مرصوص المباني منمق الالفاظ والمعاني وكان من امتداد الباع والانفراد والانطباع كالسيف الصقيل الفرد توحد بالابداع وانفرد . وشعره[٣٢] نبيل المأخذ وهو فيه حسن المهيع جمع بين سهولة الالفاظ ورشاقتها وجودة المعاني ولطافتها وله قصيدة ركب فيها طريقة لم يسمع بها لمتقدم ولا متأخر وذلك انه جعلها من اولها الى اخرها صدر البيت عزل وعجزه مدح واول القصيدة :

وضحت وقد فضحت ضياء النير فكأنما التحفت ببشر مبشر
وتبسمت عن جوهر فحسبته ما قلدته محامدي من جوهر
وتكلمت فكأن طيب حديثها متعت منه بطيب مسك أذفر
هزت بنغمة لفظها نفسي كما هزت بكراه اعالي المنبر
أذنبت واستغفرتها فجرت على عاداته في المذنب المستغفر
جادت عليّ بوصلها فكأنه جدوى يديه على المقل المقتر

وقد ضرب مثلا بكاؤه[٣٣] دولة بني عباد على تأثير الرثاء الاندلسي بالتحولات التي حدثت للدولة العربية من سقوط مدنها مما لم يكن ما يقابلها فى المشرق .

ومن اشعاره هذه المختارات يقول واصفا لورقه[٣٤] :

---

(٣١) المغرب ص ٢٠٢
(٣٢) المعجب ص ٢١٠
(٣٣) فى الادب الاندلسى وكابي ٢١٤
(٣٤) الحلل السندسية ارسلان جـ ٢ ص ٢٠٩ مصر ١٩٣٦

بلد اعارته الحمامة طوقها ... وكساه حلة ريشه الطاووس
فكأنما الانهار فيه مدامة ... وكأن ساحات الديار كؤوس

وكتب لرفيع الدولة[٣٥] :

يا ذا الذي هز امداحي بحلبته ... وعزه ان يهز المجد والكرما
وادٍ لك لازراع فيه تبذله ... فجد عليه لايام المنى سلما

ومن ابدع قصائده قوله[٣٦] :

هلا ثنان عليّ قلب مشفق ... لترى فراشا في فراشي يحرق
اصبحت كالرفق الذي لا يرتجى ... وبقيت كالنفس الذي لا يلحق
وغرقت في دمعي عليك وعمني ... طوق فهل سبب به اتعلق
انت المنية والمنى فيك استوى ... ظل الغمامة والهجير المحرق
لك قد ذابلة الوشيج ولونها ... لكن سنانك اكمل لا ازرق
ويقال انك ايكة حتى اذا ... غنيت قيل هو الحمام الاورق
لو في يدي سحر وعندي رقية ... لجعلت قلبك بعض يوم يعشق

وهذا مثال لموشحاته[٣٧] :

في نرجس الاحداق وسوسن الاجياد ... نبت الهوى مغروس بين القناد المياد
وفي نقا الكافور ... والمندل الرطب
والهودج المزرور ... بالوشي والعصب
قضب من البللور ... حمين بالقضب
نادى بها المهجور ... من شدة الحب
اذابت الاشواق روحي على اجساد ... اعارها الطاووس من ريشه ابراد
كواعب اتراب ... تشابهت قدا
عضت على العناب ... بالبرد والاندا
اوصت بي الاوصاب ... وافرت الوجدا
واكثر الاحباب ... اعدى من الاعدا

---

(٣٥) الذخيرة جـ ٢ ص ٢٤٤
(٣٦) فوات الوفيات جـ ٢ ص ٥١٤
(٣٧) بلاغة العرب في الاندلس ص ٢٧١

تفتر عن اعلاق لآلي افـــراد فيه اللمى محروس بالسن الاغماد
من جوهر الذكرى عطل نحور الحور
وقلـد الـدرا سـلالة المنصور
جاوز بـه البحرا واخرق حجاب النور
وقل له شـعرا بفضلك المشهور
جمعت في الافاق مناقد الاضـداد فانت ليث الخير وانت بدر النادِ

الاعلام

(ابن)

ابن ابي‌حبيب الجزري ٤٨

ابن ابي زمنين ٩٣ ، ٩٥

ابن الأبار ٣٧ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ١١٠

ابن الاثير ١١٠

ابن الاحمر ١٠٧

ابن ارفع راسه ١٠٣

ابن الافطس ٧١

ابن الاقليشي ٤٩

ابن بسام ١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٣٨ ، ١٠٠ ، ١٠١

ابن بشكوال ٣٨ ، ٨١

ابن بقي ٢٧

ابن الحداد ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨

ابن حريق ٤٨

ابن حوقل ٦٩

ابن خاقان ٣٨ ، ٤٩ ، ٧٥ ، ٨٢ ، ١٠٧

ابن خفاجة ٣٨

ابن الخطيب ٨ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٩٤ ، ١٠٢

ابن خلدون ١٠ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٦ ، ٤٨ ، ٧١

ابن ذي النون ٧١ ، ٧٢

ابن زمرك ٤٨

ابن زيدون ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩

ابن سعيد ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٧٣

ابن سناء الملك ١٨ ، ٤٠

ابن السيد البطليوسي ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤
ابن شرف القيرواني ٧٨
ابن الشهيد ١٠٢
ابن عبدالعظيم ٤٨
ابن عبادة ١٠٢
ابن عبدون ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦
ابن عربي ٣٦ ، ٤٩
ابن عمار ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩
ابن فرج ١٣
ابن قزمان ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤
٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩
٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٢ ، ٥٧
٥٩ ، ٨٨
ابن قتيبة ٧٤
ابن اللبانة ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠
ابن محمد الشاطبي ٤٨
ابن مردانيش ٤٨
ابن المرغي النصراني ٣٦
ابن مقبل ١٠١
ابن منظور ٧
ابن نغرالة اليهودي ٩٢ ، ٩٣
ابن وكيل الزاهد ٤٩
ابن هود ١٠١
(أبـو)
ابو اسحاق الالبيري ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٨
ابو اسحاق بن العسال ٩٤
ابو بكر المخزومي : ٣٦

ابو بكر الصابوني ٤٨
ابو بكر بن صارم : ٤٨
ابو بكر الاشبيلي ١١٠
ابو بكر القبطرونة ٧٥
ابو بكر محمد بن عبدالملك ٨٢
ابو الحسن الششتري ٣٦ ، ٤٨ ، ٦٥
ابو الحسن سهل بن مالك ٣٦
ابو الحسن علي بن جحدر ٣٦ ، ٤٨
ابو الحسن بن عياش ٥٢
ابو الحسن القبطرونة ٧٥ ، ٧٦
ابو الحسن بن الرماد ٧٦
ابو الحسن بن سراج ٧٧
ابو الحكم بن حزم ٧٧
ابو حيان ٤٨
ابو خالد هاشم بن رجاء ٩١
ابو ذر ٧٨
ابو الرقعمق ٤٣
ابو زكريا يحي بن تين ٧٦
ابو زيد عبدالرحمن بن مولود ٥٢ ، ٧٣
ابو سعيد ٥٢
ابو الشمقمق ٤٣
او عبدالله بن الصفار ٩٢
ابو عبدالله بن ابي الخصال ٤٧
ابو عبدالله محمد بن صناديد ٥٢
ابو عبدالله بن الايمن ٧٤
ابو عبدالله اللوشي ٣٦ ، ٤٩ ، ٥٣
ابو العتاهية ٣٦ ، ٩٥

ابو علي الشلوبيني ٤٩
ابو الفداء ٧١
ابو القاسم بن السقاط ٤٩
ابو محمد القبطرونة ٧٥
ابو مروان بن زهر ٤٩
ابو نواس ١٢ ، ٢٩
ابو يحي ٥٢
(أ)
ابراهيم ابو الخشب ٢٤
ابراهيم بن سهل اليهودي : ٣٦
احمد بلا فريج ٧ ، ٣٦
احمد ضيف ٨ ، ١٠٣ ، ١٠٥
احمد بن وكيل ٣٦
احمد بن مالك ٤٨
احمد بن جنون ٤٨
احمد أمين ٨٣
احمد عطية ٧٨ ، ١٠٠
احمد بن حمدين ٤٣
احسان عباس ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٧٣ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ٩٥
الاحنف العكبري : ٤٣
اخطل بن نمارة ١٢ ، ١٣ ، ٤٠
الاسكندري ١٨
اسعد داغر ١٨
الاصعي ٣٦
الاعمى التطيلي ٢٧
اغناطيوس كراتشكوفسكي ١٥ ، ٣٠
افرام البستاني ٩٢ ، ٩٣

ام الكرام بنت المعتصم ٣٦
(ب)
باقـــل ٨٣
باديس بن حيوس ٩١ ، ٩٢
بطرس البستاني ١٠ ، ٣٨ ، ٦٩ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ١١٠
البغدادي ١٠٧
بيزي ٩٤
(جـ)
جرجي زيدان ١٦
جرير ٨٣
جميل بثينة ١٢
جنشيالث ٧ ، ١٤ ، ١٣ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٤٠
جوفر رودل ٣١
(ح)
حاتم الطائي ١٢
حاجي خليفة ١٠٩
الحجاري ٤٥ ، ١٠٠
حسن جاد حسن ١٦
حسين مؤنس ٣٤
حسين مظلوم ١٠
الحموي ٦٩
الحميدي : ١٣
حيدر بامات ٣١
(خ)
خوان رويس ٣٠
(د)
دوميريل ٣٣

(ر)
الرافعي ١١ ، ٨٧
الرشيد بن المعتمد ١٠٨ ، ١١٠
رفيع الدولة ١١٢
الركابي ١٧ ، ١٠٢
الرمادي ٣٦
ريبيرا ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٢
(ز)
الزركلي ٣٨
(س)
سابور ٧١
سامي احمد الموصلي ١ ، ٤
سركامون ٣٢
السرقسطي ١٠٣
ســـير ٧٢ ، ٨١
(ش)
الشقندي ٤٨
شوقي ضيف ١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ١٠٩
شيولودال كامو ٣٤
(ص)
صعصعة بن صوحان ٨٢
صفي الدين الحلي ٨ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٤
الصفدي ٣٧ ، ١٠٠
(ض)
الضبي ١٣
(ع)
العباس بن الاصنف ١٠٥

عبدالعزيز الاهواني ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٩
عبدالغفار بن دشلون ٤٨
عبدالمؤمن ١١
عبدالمنعم خفاجة ١٠٠ ، ١٠٩
عبدالله محمد ١٣
عبدالله عنان ٧١ ، ٧٩
عبدالله الزبيري ٩٣
عبدالله بن مسلمة التجيبي ٧١
عبدالرحمن الناصر ١٣
عبدالرحمن بن مروان ٦٩
عبدالعزيز بن اللبانة ١٠٨
عبدالواحد بن عيسى ٩٤
عروة بن حزام ١٢
علي جواد طاهر ١٨
علي بن يوسف المرابطي ٨١
علي بن محمد بن توبة ٩١ ، ٩٢
علي محمد حمودة ١٤ ، ٣١
عمر فروخ ١٣
عمر رضا كحالة ٣٧ ، ٧٤ ، ١٠٣
عوض عبدالكريم ١٨ ، ١٠٣
(غ)
غرنباوم ١٣
غرسياغومس ٢٦ ، ٢٨ ، ٩٤ ، ١٠٧
غربـــال ٧
غليـــوم التاسع ٣١
(ف)
فالريوس ماكسيموس ٦٩

فلوطرخس ٦٩
الفونسو العاشر ٣٤
فيليب قعدان ٨
(ك)
كونت يواتيية : ٣١ ، ٣٢
(ل)
ليفي بروفنسال : ٢٥ ، ٣٠ ، ٣٧ ، ٤٨ ، ١٠٨
(م)
مارون عبود : ١٦
ماركابرو : ٣١
المتوكل : ٣٧ ، ٣٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٧، ٨٨
المتنبي : ٧٣ ، ٨٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥
محمد أمين : ٧
محمد عجاج : ١١
محمد بن الكتاني : ١٣
محمد بن احمد : ٣٥
محمد عبدالعظيم : ٣٦
محمد بن عبدالملك بن قزمان : ٣٨ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨
محمد بن ناجية اللورقي : ٤٨
محمد بن خيرة : ٤٨
محمد الاول : ٦٩
محمد بن عيسى : ٣٧
محمد بن عبادة القزاز : ١٠٣
مدغليس : ١١ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤، ٦٤
المراكشي : ٧٣ ، ٧٨ ، ١٠٢ ، ١٠٨
المظفر بن الافطس : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣
المعتصم بن صمادح : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٦ ، ١٠٨

المعتمد بن عباد : ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٣ ، ١٠٨
المعري : ٧٣ ، ١٠٥
المقري : ١٣ ، ٣٦
مقدم بن معافى القبري : ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٦
ملياس فاليگروسا : ٣٤
(ن)
ناصر الدولة : ١٠٨
نزهون بنت القلاي الغرناطية : ٣٦
نويرة النصرانية : ١٠٦
نيكل : ٨٧
(هـ)
هارتمان : ١٨
هرمان دردامن : ٣٣
(ي)
اليافعي : ١٠٨
يحيى بن المظفر : ٧١
يحيى المنصور : ٧٢
يخلف بن راشد : ١١
يخلف الاسود : ١١ ، ٣٦
يوسف بن القلامي : ٧٢
يوهان فك : ١٦

فهرست المصادر والمراجع

الكتاب	المؤلف	محل الطبع تاريخه

١ــ ابن زيدون ــ شوقي ضيف ــ مصر ٠
٢ــ اختصار القدح المعلى ــ ابن سعيد ــ القاهرة ١٩٥٩ ٠
٣ــ الادب الاندلسي ــ احمد بلافريج واخرون ــ ١٩٤١ ٠
٤ــ ادباء العرب في الاندلس ــ بطرس البستاني ــ بيروت ــ ١٩٣٧ ٠
٥ــ الادب العربي وتاريخه ــ محمود مصطفى ــ مصر ــ ١٩٣٧ ٠
٦ــ الادب العربي في الاندلس ــ حسن جاد واخرون
٧ــ ادب العرب ــ مارون عبود ــ بيروت ــ ١٩٦٠
٨ــ الادب العربي في آثار الدارسين ــ احمد العلي واخرون ــ بيروت ــ ١٩٦١ ٠
٩ــ ازهار الرياض في اخبار عياض ــ المقري ــ مصر ١٩٤٠ ٠
١٠ــ اعمال مهرجان ابن خلدون ــ القاهرة ــ ١٩٦٢ ٠
١١ ــ الاعلام ــ الزركلي ٠
١٢ــ ايضاح المكنون ــ اسماعيل محمد امين البابانى ــ ١٩٤٥ ٠
١٣ ــ بغية الملتمس ــ الضبي ــ مجريط ــ ١٨٨٤ ٠
١٤ــ بلاغة العرب في الاندلس ــ احمد ضيف ــ مصر ــ ١٩٥٤ ٠
١٥ــ البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ــ المراكشي ــ بيروت ــ ١٩٦٧ ٠
١٦ــ تاريخ الفكر الاندلسي ــ انخل جنثيالث ت حسين مؤنس ــ القاهرة ــ ١٩٥٥ ٠
١٧ ــ تاريخ الادب الشعبي ــ حسين مظلوم واخرون ــ مصر ــ ١٩٣٦
١٨ــ تاريخ آداب العرب ــ الرافعي ــ القاهرة ــ ١٩٤٠
١٩ــ تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ــ عمر فروخ ــ بيروت ــ ١٩٦١ ٠

٢٠ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ جرجي زيدان ـ دار الهلال مصر
٢١ـ تاريخ الادب الاندلسي (٢) ـ احسان عباس ـ بيروت ـ ١٩٦٢
٢٢ـ تاريخ الاندلس ـ علي محمد حمودة ـ القاهرة ـ ١٩٥٧
٢٣ـ تاريخ الادب العربي في الاندلس ـ ابراهيم ابو الخشب ـ القاهرة ـ ١٩٦٦ .
٢٤ ـ تاريخ اسبانيا الاسلامية ـ ابن الخطيب ـ بيروت ـ ١٩٥٦ .
٢٥ـ التشبيهات في اشعار اهل الاندلس ـ محمد بن الكتاني ـ بيروت ـ ١٩٦٣ .
٢٦ـ التكملة ـ ابن الابار ـ القاهرة ـ ١٩٥٥ .
٢٧ـ الجديد في الادب العربي ـ عمر فاخوري ـ بيروت ـ ١٩٥٨ .
٢٨ـ جذوة المقتبس ـ الحميدي ـ مصر ـ ١٩٦٦
٢٩ـ حضارة العرب في الاندلس ـ ليفي بروفنسال ـ بيروت .
٣٠ـ الحلة السيراء ـ ابن الابار ـ القاهرة ـ ١٩٦٣ .
٣١ـ الحلل السندسية ـ شكيب ارسلان ـ مصر ـ ١٩٣٦ .
٣٢ ـ خلاصة الاثر ـ المحبي محمد امين ـ بيروت .
٣٣ـ دائرة معارف الشعب ـ القاهرة ـ ١٩٥٩ .
٣٤ـ دائرة المعارف ـ بطرس البستاني ـ بيروت ـ ١٨٧٦ .
٣٥ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ القاهرة ـ ١٩٣٣ .
٣٦ـ دائرة المعارف ـ افرام البستاني ـ بيروت ـ ١٩٥٦
٣٧ـ دار الطراز ـ ابن سناء الملك ـ دمشق ـ ١٩٤٩ .
٣٨ـ دراسات في تاريخ الادب العربي ـ اغناطيوس كراتشكوفسكي ـ موسكو ـ ١٩٦٥ .
٣٩ـ دراسات في الادب العربي ـ فون غرونباوم ـ ت احسان عباس ـ بيروت ـ ١٩٥٩ .
٤٠ـ دول الطوائف ـ عبدالله عنان ـ القاهرة ـ ١٩٦٠
٤١ـ ديوان الالبيري ـ الالبيري نشر اميليا كارسيا ـ غرناطة ـ ١٩٤٤ .
٤٣ـ ديوان ابي الحسن الششتري ـ الششتري ـ اسكندرية ـ ١٩٦٠ .

٤٣ــ الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ــ ابن بسام ــ القاهرة ١٩٤٢ .
٤٤ــ الزجل في الاندلس ــ عبدالعزيز الاهواني ــ القاهرة ــ ١٩٥٧ .
٤٥ــ سلسلة محاضرات وتاريخها ــ ليفي بروفنسال ــ القاهرة ــ١٩٥١ .
٤٦ ــ شذرات الذهب ــ الحنبلي ــ القدس ــ ١٣٥٠ هـ .
٤٧ــ الشعر الغنائي في الامصار الاسلامية ــ شوقي ضيف ــ القاهرة ــ ١٩٥٣ .
٤٨ ــ الشعر الاندلسي ــ غرسيا غومس ــ القاهرة ١٩٥٦ .
٤٩ ــ صحيفة معهد الدراسات الاسلامية ــ مدريد ــ ١٩٦٢
٥٠ ــ الصلة ــ ابن بشكوال ــ القاهرة ــ ١٩٥٥
٥١ــ صورة الارض ــ ابن حوقل ــ بيروت .
٥٢ــ ظهر الاسلام ــ احمد امين ــ مصر .
٥٣ ــ العاطل الحالي والمرخص الغالي ــ صفي الدين الحلي ــ ١٩٥٥
٥٤ــ العذارى المايسات في الازجال والموشحات ــ فيليب قعدان ــ
٥٥ ــ العربية ــ يوهان فك ــ القاهرة ــ ١٩٥١ .
٥٦ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ــ شوقي ضيف ــ بيروت ــ١٩٥٩
٥٧ــ فن التوشيح ــ عوض عبدالكريم ــ بيروت ــ ١٩٥٩ .
٥٨ــ فوات الوفيات ــ الكتبي ــ القاهرة ــ ١٩٥١ .
٥٩ــ في الادب الاندلسي ــ جودت الركابي ــ مصر ــ ١٩٦٠ .
٦٠ــ القاموس الاسلامي ــ احمد عطيه ــ القاهرة ــ ١٩٦٣ .
٦١ــ قصة الادب في الاندلس ــ عبدالمنعم خفاجه ــ بيروت ــ ١٩٦٢ .
٦٢ــ قلائد العقيان ــ ابن خاقان ــ تونس .
٦٣ــ الكامل في التاريخ ــ ابن الاثير ــ بيروت ــ ١٩٦٦ .
٦٤ــ كشف الظنون ــ حاجي خليفة ــ بولاق .
٦٥ ــ لسان العرب ــ ابن منظور ــ بولاق .
٦٦ــ مجالي الاسلام ــ حيدر بامات عادل زعيتر .
٦٧ــ المختصر من اخبار البشر ــ ابو الفداء ــ بيروت .
٦٨ ــ مختارات من الشعر الاندلسي ــ نيكل ــ بيروت ــ ١٩٤٩ .

٦٩ــ مرآة الجنان وعبرة اليقظان ٠
٧٠ــ المطرب في اشعار الغرب ــ ابن دحية ــ القاهرة ــ ١٩٥٤ ٠
٧١ــ المطرب في ادبي الاندلس والمغرب ــ محمد عجاج واخرون ــ مصر٠
٧٢ــ مطمح الانفس ــ ابن خاقان ٠
٧٣ــ مصادر الدراسة الادبية ــ اسعد داغر ــ لبنان ١٩٦١ ٠
٧٤ــ معجم المؤلفين ــ عمر رضا كحالة ــ دمشق ١٩٦٠ ٠
٧٥ ــ معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ القاهرة ــ ١٩٠٦
٧٦ــ المعتمد بن عباد ــ علي ادهم ــ مصر ٠
٧٧ــ المعجب في تلخيص اخبار المغرب ــ المراكشي ٠
٧٨ــ المغرب في حلى المغرب ــ ابن سعيد
٧٩ــ مقدمة بن خلدون ــ ابن خلدون ٠
٨٠ــ المقتضب من كتاب تحفة القادم ــ ابن الابار ــ القاهرة ــ ١٩٥٧٠
٨١ــ المنهل في الادب العربي ــ علي جواد طاهر ــ بغداد ــ ١٩٦٢٠
٨٢ــ الموسوعة العربية الميسرة ــ باشراف غربال ــ القاهرة ــ ١٩٦٥ ٠
٨٣ــ الموشحات الاندلسية ــ الدرويش
٨٤ــ نفح الطيب في غصن الاندلس الرطيب ــ المقري ــ بيروت ١٩٤٩٠
٨٥ــ الوافي بالوفيات ــ الصفدي ــ اسطنبول ــ ١٩٤٩
٨٦ــ الوسيط في الادب العربي ــ الاسكندري ــ مصر ١٩١٦ ٠
٨٧ــ هدية العارفين ــ البغدادي ــ اسطنبول ــ ١٩٥١ ٠

الفهرست

١ ــ المقدمة

٢ ــ الزجل الاندلسي

الزجل لغة واصطلاحا

نشأة الزجل

شؤون زجلية

مكانة الزجل الادبية

اثر الزجل في الشعر الاوربي

ابن قزمان

مدغليس

مختارات زجلية

٣ ــ الادب البطليوسي فى عصر الدولة الافطسية

بطليوس

التاريخ السياسي للدولة الافطسية

الحالة الادبية

المتوكل

ابن عبدون

ابن قزمان الاكبر

٤ ــ شخصيات اندلسية

ابو اسحاق الالبيري

ابن الحداد

ابن اللبانة

٥ ــ فهرست الاعلام

٦ ــ المصادر والمراجع

٧ ــ فهرست المواضيع

(رقم الايداع في المكتبة الوطنية ٢٤٠ لسنة ١٩٧٠)

انتهى الطبـع بتاريخ ١٩٧٠/١١/٢٤

ساعدت وزارة الإعلام على نشره

السعر ٢٠٠ فلسا

طبع بمطبعة الزمان ـ بغداد

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 073825000
(NEC)
PJ7542
.Z3
M397
1970